الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

الفهرس

رئيس التحرير

أحمد حسن الزيات

المراسلات جميعها تكون باسم
السيد مدير ادارة المجلات
٢٧ شارع عبد الخالق ثروت
بريد . محمد فريد . القاهرة

تصدرها

الثقافة والإرشاد القومى



الاشتراكات ١٥٠ م سنويا
ويضاف أجر البريد
من خارج ج.ع.م

منطق التفريعات

للدكتور محمد أحمد خلف الله

كلما قرأت فى باب المعاملات من كتب الفقه الاسلامى شيئا ازددت يقينا بأن الاحكام الواردة فى هذه الكتب لم تكن أبدا فى يوم من الأيام مدار تطبيق عملى ، وأنها ليست كذلك فى أيامنا ، ولم تكن كذلك فى أيام القائلين بها .

لقد كان الفقهاء فى أبراجهم العاجية مشغولين بشىء غير النظم القائمة التى تسير الناس وتنظم الحياة . **لقد كانوا مشغولين بتخريج النصوص ، وفرض الفروض ، وتفريع المسائل** ، وكانوا يختلفون فيما بينهم الى الحد الذى لم يجعل لهم رأيا موحدا فى مسائل الحياة الكبيرة ، وأخص بالذكر هنا مسألة من هذه المسائل الهامة هى مسألة الضرائب التى تفرض على الأرضين .

لقد كانوا يختلفون ، ولاتزال اختلافاتهم قائمة ، بدليل أنا لوطلبنا من أى رجل من رجال الدين ، ممن يعنون بكتب الفقه عامة وأبواب المعاملات بصفة خاصة ، أن يذكرلنا حكم الشرع الشريف فى هذه الضرائب لجاءنا بأكثر من قول ، ولقال لنا هى عند الامام فلان كذا ، وعند الامام فلان كذا ، وعند الامام فلان كذا .... وهكذا ....

ونحن لانتصور أبدا أن الخلفاء ، والأمراء ، والولاة ، كانوا يعتمدون هذه الأقوال جميعا ـ انهم لو فعلوا لكانت الفوضى التى ليست بعدها فوضى ، وماظنك بوال أو أمير يعتمد كل يوم قولا من أقوال أحد الأئمة فى الأمور التنظيمية للدولة ؟ انه من غير شك يفسد الحياة على نفسه وعلى الناس .

وأستطيع أن أطرح قضية من القضايا تكشف لنا وجه الحق فى هذه المسألة ، هذه القضية هى قضية خراج مصر ، أو قضية الضرائب المفروضة على الأراضى الزراعية فى مصر .

وأستميح القارىء عذرا حين أقول له ان الحديث عما كان يجرى عليه العمل أيام الخلفاء الراشدين ومن بعدهم سيكون خاتمة هذا المقال . أما هنا فان الحديث يدور **حول موقف الفقهاء من هذه القضية .**

ان معرفة القيمة الضريبية للأراضى الزراعية فى مصر متوقفة على الاجابة عن سؤال هام هو : هل فتحت مصر صلحا أم فتحت عنوة ؟

ذلك لأن لكل نوع من الأراضى قيمة ضريبية خاصة متوقفة على نوع الملكية التى تكون **مع الصلح أو مع الفتح عنوة ،** اذ هذه غير تلك عندهم .

وصدقونى حين أقول لكم ان الفقهاء لم ينتهوا بعد من تحديد الاجابة عن السؤال الأول .

ان منهم من يقول ان مصر فتحت صلحا ، وان منهم من يقول انها فتحت عنوة ، وكل واحد من الفريقين يورد من النصوص ما يؤيد به قوله .

وليس من شك فى أن الخلفاء والأمراء والولاة لم ينتظروا حتى يفرغ الفقهاء من البحث والدرس والتمحيص والانتهاء الى قول موحد .

لقد ترك الخلفاء والولاة الفقهاء فى جدلهم وفرضوا هم الضريبة حسب النظام الذى اعتمدوه ، وهو لم يكن عربيا أو اسلاميا كما سنرى فيما بعد .

على أنا لو تركنا مسألة الفتح هذه جانبا وسلمنا جدلا بأن مصر قد فتحت عنوة مثلا ، أو فتحت صلحا لبقيت المسألة كما هى : **آراء مختلفة فى الموقف الواحد ، وفى الزمان الواحد ، وفى المكان الواحد ، مما لا يبشر بخير فى مستقبل الأمة .**

ان الفقهاء لم يجمعوا على رأى موحد فى هذه المسألة الهامة ، مسألة نوع الملكية ، وما يترتب عليه من قيمة ضريبية . ونعجب نحن حين نرى من الناس من ينادى بأن نتخذ من أقوال القدامى فى المعاملات أساسا لحياتنا ، ولحضارتنا .

ان الأئمة يختلفون فيما بينهم فى الأراضى التى فتحت عنوة ، وفى الأراضى التى فتحت صلحا ، وفى الأراضى التى هجرها أصحابها قبل أن تلحق بهم خيل المسلمين ... هجروها بدون حرب أو قتال .

انهم يختلفون فى أراضى البلدان التى فتحت عنوة على هذا الوجه :

(أ) **يذهب الشافعى** رضى الله عنه الى أنها غنيمة من الغنائم ، وأنها يجب أن تقسم بين الفاتحين كالأموال سواء بسواء ، الا أن تطيب نفوس الفاتحين بالتنازل عنها ، وعند ذلك توقف على مصالح المسلمين .

(ب) **ويذهب مالك** الى أنه لا تجوز قسمتها بين الفاتحين وأنها تصبح وقفا على مصالح المسلمين بمجرد غنيمتها .

(ج) **ويذهب أبو حنيفة** الى أن الأمر متروك للخليفة وأنه مخير فيها بين ثلاثة أمور :

الأول : أن يقسمها بين الفاتحين ، وفى هذه الحالة تصبح أرضا عشرية .

الثانى : أن يعيدها الى المشركين الذين كانوا عليها بخراج يضرب عليها ، وفى هذه الحالة تصبح أرض خراج .

الثالث : أن يقفها على كافة المسلمين .

والبلدان المفتوحة تكون فى هذه الحالات كلها دار اسلام سواء سكنها المسلمون أو أعيد اليها المشركون ، لأن المسلمين قد ملكوها بالفتح .

ولا يجوز أبدا للمسلمين أن يتنازلوا عنها للمشركين والا أصبحت دار حرب ، ووجب عليهم فتحها مرة ثانية .

وهم يختلفون فى الأراضى التى فتحت صلحا على هذا الوجه :

أولا : أن تكون المصالحة على أساس أن الأرض ملك للمسلمين ، وهى بذلك تصبح وقفا ، ولا يجوز بيعها أو رهنها .

ويكون الخراج الذى يؤخذ منهم فى هذه الحالة أجرة ، ولا يسقط عنهم باسلامهم .

ثانيا : أن تكون المصالحة على أساس أن الأرض لهم ، ويضرب عليهم خراج يؤدونه .

ويكون هذا الخراج فى حكم الجزية يسقط عنهم عند اسلامهم .

***

ونكتفى بهذا القدر فى بيان أن الأئمة لم ينتهوا الى رأى موحد فى ملكية الأراضى ، وفى القيمة الضريبية لها .

ولست فى هذا المقام بالذى يندد على الفقهاء ، فأنا معجب بهم أشد الاعجاب ، **معجب حين اقرأ هذه التخريجات ،وهذه التفريعات ، وهذه الأحكام الشرعية التى جاءت اجابة عن فروض وهمية أو خيالية .. معجب باعتبارها رياضة ذهنية لها دلالتها فى اثراء الفكر الاسلامى وايقاظ العقل العربى .**
لأنى انما أريد فقط أن أثبت أن هذه الرياضة الذهنية لم تطبق فى الحياة ، لا فى أيام قائليها ولا فى أيام من جاء من بعدهم .

وتاريخ العرب فى مصر يثبت هذه الحقيقة :

ان الخلفاء مضوا على أن يؤخذ من مصر خراج كالذى كان يأخذه الرومان منها .

وان الخلاف الذى قام بين **عمرو بن العاص وعمر بن الخطاب** من قبل ثم **عثمان بن عفان** من بعد كان يدور حول هذه المسألة :

لقد كان الخلفاء يرون أن خراج مصر فى عهد الاسلام يجب الا يقل عنه أبدا فى أيام الفراعنة ، وفى أيام الرومان .

وكان عمرو بن العاص يرى أن الحروب قد أحدثت آثارها السيئة فى الانتاج ، وأنه قد قل عن ذى قبل ، وأن الخراج يجب أن يتمشى مع الانتاج .

كما كان يرى أن هذه الضياع الواسعة التى تركها الأغنياء من الرومان ، والتى آل أمرها الى العرب ، قد قل انتاجها من حيث أن العرب لا يحسنون الزراعة كما يحسنها الرومان ، انهم أهل رعى وليسوا بأصحاب زراعة .

***

بقيت ظاهرة غريبة نحب تسجيلها فى هذا

المقام ، هى أن الأئمة الذين يختلفون فيما بينهم كانوا من رجالات العصر العباسى ، ومعنى ذلك أنهم كانوا يتجادلون فى مسائل هى من صميم الحياة لأنها متصلة بالمال الذى هو العصب الحساس فى بناء الدولة ، كانوا يتجادلون فى هذه المسألة جدلا نظريا ، ويتركون الواقع العملى الذى سار عليه الخلفاء الراشدون ومن جاء بعدهم .

والحقيقة أن المؤرخين لا الفقهاء هم الذين يستطيعون أن يمدونا بالنظم الاسلامية التى تستطيع أن تتخذ منها أساسا لمجتمع اسلامى جديد ، **مجتمع يؤمن بالمنطق العملى ، ولا يرى خيرا فى الجرى وراء الفروض النظرية ، والأوهام والخيالات .**

كلمات

قال النبى صلى الله عليه وسلم : مثل ما بعثنى الله عز وجل به من الهدى والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضا .

(أ) فكانت منها بقعة قبلت الماء فانبتت الكلا والعشب الكثير .

(ب) وكانت منها بقعة أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس فشربوا منها ، وسقوا ، وزرعوا .

(ج) وكانت منها طائفة قيعان لا تمسك ماء ، ولا تنبت كلأ .

ويقول مالك بن نبى : فى هذا الحديث النبوى الشريف تدرج من الأعلى للأدنى فى تصوير علاقة الفرد والمجتمع بالعلم ، أى بالأفكار والأشياء .

وكان النبى عليه السلام أراد من هذا التدرج ذى الدرجات الثلاث أن يرمز الى عصور ثلاثة يمر بها المجتمع .

(أ) يبدأ تاريخ المجتمع بمرحلة يحدث فيها تقبل الأفكار ، وابداعها ، وتمثلها .

(ب) تليها مرحلة تبليغ هذه الأفكار الى مجتمعات اخرى .

(ج) ثم تعقب ذلك فترة يتجمد فيها عالم الأفكار فيصبح وليست لديه ادنى فاعلية اجتماعية .

وانه ليمكننا ان نقول :

(أ) ان المجتمع الاسلامى فى عصر الفارابى كان يخلق افكارا .

(ب) وانه كان على عهد ابن رشد يبلغ هذه الأفكار الى أوربا .

(ج) وانه بعد ابن خلدون لم يعد قادرا لا على الخلق والابداع ، ولا على التبليغ .

ويقول مالك بن نبى ايضا :

قد يقال ان المجتمع الاسلامى يعيش طبقا لمبادئ القرآن ، والأصوب أن يقال انه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن ، لعدم وجود المنطق العملى فى سلوكه الانسانى .

ان الذى ينقص المسلم ليس منطق الفكرة ، ولكن منطق العمل والحركة .

ان المسلم لا يفكر ليعمل ، بل ليقول كلاما مجردا ـ بل انه اكثر من ذلك يبغض اولئك الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا ، ويقولون كلاما منطقيا من شانه ان يتحول فى الحال الى عمل ونشاط .

انه من هنا يأتى عمقنا الاجتماعى .

نحن حالمون ينقصنا المنطق العملى .

***

حقا ان الكلمة لمن روح القدس ـ ولكن من الضرورى ان يقر فى اذهاننا التمييز بين الكلمة المقدسة الفعالة ، وبين الثرثرة والهذر .

هناك اناس ليست الكلمة بالنسبة اليهم سوى اداة تؤدى الى العدم ، فهى عندهم مجرد صورة بيانية خلابة ترن فى الهواء ، أو مجرد كمية من المداد على صفحة من الورق .

ان الواجب يفرض علينا ان نرعى واقعا جليا وجوهريا هو أن ميزانية التاريخ ليست رصيدا من الكلام .

انها كتل من النشاط المادى ، ومن الأفكار التى لها كثافة الواقع ووزنه .

دكتور

محمد احمد خلف الله

الدعوة إلى التجديد الديني

بقلم
محمد محمد المدني

- ٤ -

بينا في مقالنا السابق وجهة نظرنا في منع عمر بن الخطاب رضى الله عنه « **المؤلفة قلوبهم** » السهم الذى كانوا يعطونه على عهد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

ووعدنا بأن نعرض لبعض المسائل الأخرى التى اشتهر بين الناس أن عمر بن الخطاب وقف فيها من النصوص موقفا مخالفا لها .

وقبل أن نأخذ فى عرض أهم هذه المسائل ، نذكر ما يأتى :

ان الدكتور **محمد احمد خلف الله** ليس منفردا باثارة هذا الموضوع ، وانما هو باحث من جملة باحثين أثاروه كما أثاروا غيره من مواقف عمر رضى الله عنه .

وهم بين ناقد لعمر غير راض عن فعله ، ومؤيد له محبذ لموقفه من النصوص حين تكون - فيما يرى الناس - متعارضة مع المصلحة ، ومخرج لفعله تخريجا يتفق به مع أصول الفقه .

فمن الذين نقدوا عمر فى هذا : بعض علماء الشيعة الامامية ، الذين يقطن كثير منهم فى ايران والعراق وسوريا ولبنان وغيرها من بلاد العالم الاسلامى .

وخلاصة نقدهم أن سهم المؤلفة قلوبهم ثابت بنص كتاب الله تعالى ، قوله « انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم . » الآية ، فكيف ساغ لعمر أن يجىء الى نص محكم فيجتهد فيه اجتهادا ينتهى الى مصادمته وتعطيل حكمه ؟ وهل يجوز الاجتهاد المبنى على الاستحسان العقلى أو العلة المستنبطة بالظن فى مقابل مثل هذا النص الواضح ؟

هؤلاء هم الذين ينقدون عمر ، وهم يصدرون عن غيرة كاملة وحرص شديد على النصوص ، وهناك من يؤيدونه - كما قلنا - ويدافعون عن تصرفه فى مثل هذا الموضوع ، لكنهم يختلفون فى منهج هذا التأييد :

فمنهم من يبيح للمجتهد أن يجتهد فى كل شىء ، حتى فى تقييد النص ووقف العمل به متى استوفى شروط الاجتهاد المبينة فى كتب أصول الفقه ، وهؤلاء هم قوم من الباحثين المعاصرين ظنوا أن الانطلاق بالشريعة الى ميادين الاجتهاد الحر المطلق من القيود من شأنه أن يحل مشاكل المسلمين ، وأن يقنع الناس بمرونة الاسلام ومطاوعته لما يرون من المصالح ، وتجاوبه مع العصور والحضارات والمدنيات .

وقد كتب المرحوم الدكتور **احمد امين** فى ذلك ، ومن قوله :

« والذى يحل مشاكلنا هو فتح باب الاجتهاد بعد أن أغلقه العلماء ... والاجتهاد الذى نريده هو الاجتهاد المطلق ، لا الاجتهاد فى المذهب ، فهو يشمل كل شىء ، حتى تقييد النص ووقف العمل به ، متى استوفى المجتهد شروط الاجتهاد » .

ثم قال :

« وامامنا فى ذلك عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وذكر عنه أحكاما مصدرها ذلك الاجتهاد ، منها عدم اعطاء المؤلفة قلوبهم سهمهم من الزكاة . (انظر ص ١٤٦ من المجلد الثالث لمجلة « رسالة الاسلام » التى تصدر عن جماعة التقريب بين المذاهب الاسلامية - مقال « الاجتهاد فى الاسلام » للمرحوم الدكتور أحمد أمين)

ويقول الاستاذ **خالد محمد خالد** فى كتابه الديمقراطية ص ١٥٠ :

« ترك عمر بن الخطاب النصوص الدينية المقدسة من القرآن والسنة عندما دعته المصلحة لذلك ، فبينما يقسم القرآن للمؤلفة قلوبهم حظا من الزكاة

ويؤديه الرســـول وأبو بكر ، يأتى عمر فيقول : لا نعطى على الاسلام شيئا ... الخ »

ويقول الأستاذ محمــود اللبابيدى وهو باحث سورى شديد التحرر ـ : (فى رسالة بعث بها الينا كمساجلة من مساجلات التقريب العلمية) .

« اننا نجد فى كل عصر على الاقل اماما من الائمة أو أكثر يذهب الى طريقة جديدة فى التخريج بقصد الوصول الى التشريع العام لرفع الحرج عن الامة ، ومن الشواهد التاريخية على ذلك نجد أن عمر بن الخطاب أول من مشى الى التشريع العـام المباشر ، فاعتبر النصوص التشريعية معلولة لعلل مقصورة ، فاذا زالت هـذه العلل ، اقتضى ذلك زوال حكمها ، وتبعا لهذه النظرية وجدت القاعدة العامة التى تقول « العلة تدور مع معلولها وجودا وعدما » ، وقالوا : ان عمر «نسخ» نصوصا من القرآن وعددوها ، منها سهم المؤلفة قلوبهم ... الخ »

فهذا كله تأييد لمبدأ فهموه من صنيع عمر فى شأن المؤلفة قلوبهم يدور حول ارتباط النصوص بعلل ، وجواز وقفها اذا زالت هذه العلل ، وفتـح باب الاجتهاد فى ذلك اثباتا لمطاوعة الشريعة ومرونتها .

وقد بينا رأينا فى هذه المسألة والحمد لله .

هذا ومن أشهر المسائل التى يذكرونهـا فى هذا المجال أيضا : مسألة امتناع عمر عن تنفيذ حد القطع فى السرقة عام المجاعة مع أمر الله تعالى بالقطع فى قوله « والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهمـا جزاء بما كسبا نكالا من الله ، والله عزيز حكيم »

والذى قلناه فى المؤلفة قلوبهم يقال مثله هنا :

وذلك أن عمر رضى الله عنه لم يعلق هنا نصا ولم يعدل ولم ينسخ وحاشاه أن يرى لنفسه هذا الحق ، وانما فهم أن آخذ المـال فى عام المجاعة لا يوصف بأنه ســارق ، لانه يرى لنفسه حقا فيما يأخذ ، والسرقة هى أخذ الانسان مالا حـق له فيه خفية ، ولذلك نظير فيما يروى من فقه عمر يدل على أنه نظر هذه النظرة ، فقد روى القاسم بن عبد الرحمن أن رجلا سرق من بيت المـال ، فكتب فيه سعد بن أبى وقاص الى عمر ابن الخطاب ، فكتب اليه عمر : «ان لا قطع عليه ، لان له فيه نصيبا » وله أيضا نظير فيما يروى من فقه على رضى الله عنه ، فقـد حدث سفيان الثورى عن سـماك بن حرب عن عبيد بن الابرص « ان على بن أبى طالب أتى برجل سرق من الخمس مغفرا ، فلم يقطعه على وقال : «ان له فيه نصيبا»

وبذلك يقول ابراهيم النخعى ، والحكم بن عتيبة، وأبو حنيفة ، والشافعى وأصحابهما . (انظر ص ٣٢٧ ـ ٣٢٨ ج ١١ من المحلى لابن حزم)

بل لقــد روى ذلك ابن ماجه باسناده عن ابن عباس ، قال : ان عبدا سرق من الخمس فرفع ذلك الى النبى صلى الله عليه وسلم ، فلم يقطعه وقال : « مال الله سرق بعضه بعضا »

(راجع ص ٢٨٧ج ١٠ من كتاب المغنى لابن قدامة)

وهذه الرواية ، ان لم تكن سنة واضحة تتلاقى معها نظرية عمر ، فانها تقرب هذه النظرية ، اذ هى دالة على تخصيص من رسول الله صلى الله عليه وسلم لآية القطع باعتبار مصلحى ، ولعل هذا هو الذى استند اليه عمر بن الخطاب فى حادثة أخرى رويت فى « الموطأ » وغيره ، وهى ما رواه السائب بن يزيد قال : ان عبد الله بن عمـرو بن الحضرمى جاء بغلام له الى عمر بن الخطاب ، فقال له : اقطع يد غلامى هذا ، فانه سرق ، فقال له عمر : ماذا سرق ؟ فقال: سرق مرآة لامرأتى ثمنها ستون درهما ، فقال عمر : ارسله ـ أى أطلقه ـ فليس عليه قطـع ، خادمكم سرق متاعكم »

قال **الباجى** شارح الموطأ : « رأى عمر انه لا قطع عليه فى ذلك ، وقال : خادمكم سرق متاعكم ، وذلك أنه فهم منه ـ والله أعلم ـ أن هذا الغلام كان يخدمهم ويدخل الى الموضع الذى فيه متاع امراته ويكون فيه مثل هذا مما يحتـاج أن تستعمله له فى كثير من أوقاتها ، وقد روى ابن المواز عن مالك أن العبد اذا سرق من متاع زوجة سيده من بيت اذن له فى دخوله فلا قطع عليه »

(ص ١٨٤ ج ٧ من المنتقى شرح الموطأ ـ للباجى الاندلسى)

وقال صاحب المغنى بعد أن أورد هذه الرواية :

« وفى لفظ : قال مالــكم سرق بعضه بعضا ، لا قطع عليه ، وعن ابن مسعود ان رجلا جاءه فقال : عبد لى سرق قباء لعبد لى آخر ، فقـال : لا قطع ، مالك سرق مالك ، وهذه قضايا تشتهر ولم يخالفها أحد فتـكون اجمـاعا ـ أى على معنى عدم العلم بالمخالف ـ وهذا يخص عموم الآية »

(ص ٢٨٥ من المغنى لابن قدامه ج ١٠)

هذا ومما يتلاقى مع نظرية عمر رضى الله عنه من منع القطع فى عام المجـاعة ، ما يقرره ابن حـزم الظاهرى ـ مع شدة تمسكه بتحكيم النص مطلقـا عاما فى قوله تعالى « والسارق والسـارقة فاقطعوا أيديهما ـ اذ يقول :

« قال أبو محمد ـ يعنى نفسه ـ : من سرق من جهد أصابه ، فان أخذ مقدار ما يغيث به نفسه فلا شئ عليه ، **وانما أخذ حقه** ، فان لم يجد الا شيئا واحدا فيه فضل كثير كثوب واحد ، أو لؤلؤة ، أو بعير ، أو نحو ذلك فأخذه كذلك ، فلا شئ عليه أيضا لانه يرد فضله لمن فضل عنه ، لانه لم يقدر على فصل قوته منه ، فلو قدر على مقدار قوته يبلغه الى مكان المعاش فأخذ أكثر من ذلك وهو ممكن الا يأخذه ، فعليه القطع لانه سرق ذلك عن غير ضرورة، وان فرضا على الانسان أخذ ما اضطر اليه فى معاشه ، فان لم يفعل فهو قاتل نفسه ، وهو عاص لله تعالى ، قال الله تعالى « ولا تقتلوا أنفسكم » وهو عموم لكل ما اقتضاه لفظه ، وبالله التوفيق »

(ص ٣٤٣ ج ١١ من المحلى لابن حزم)

وهكذا نرى **ابن حزم** يفهم ما فهمه عمر من أن آخذ حقه لا يكون سارقا ، نعم انه خص عدم القطع بما اذا اقتصر الآخذ على أخذ حقه ، أو أخذ الاكثر الذى لا يمكن تجزئته ، وهذا خلاف فى تفصيل الرأى بعد الاتفاق على المبدأ ، وعمر أجرى الامر فى عام المجاعة على التيسير فى تقرير الضرورة دون اعتبار ما اعتبره ابن حزم ، لانه رأى ذلك أشبه بغرض الشارع من درء الحدود بالشبهات ، والشبهات كما تكون فى ثبوت الفعل ، تكون فى تقدير الحاجة وتكييف الفعل .

ومما يتلاقى مع فكرة عمر فى أن الآخذ لا يعد سارقا الا اذا أخذ ما ليس له فيه حق : ما قرره مالك ، وأبو حنيفة ، والشافعى ، وابن حنبل ، وغيرهم من أن الابوين اذا أخذا شيئا من مال ابنهما أو بنتهما ، ولو على سبيل الخفية ، فلاقطع عليهما، قال الشافعى : وكذلك الأجداد والجدات كيف كانوا لا قطع عليهم فيما أخذوه ولو على سبيل التخفى من مال من تليه ولادتهم ، ودليلهم على ذلك ان للوالد حقا فى مال ولده ، وقد فرض الله على الولد ان يعفف أباه اذا احتاج الى الناس ، **فله فى ماله حق لذلك** .

فاعتبارهم ثبوت حق الوالد فى مال الولد بما فرضه الله عليه من اعفافه اذا احتاج ، يرشدنا الى أن من أخذ مال غيره لجهد أصابه ، لا يعد سارقا ، لان الشارع أوجب له بمقتضى الجهد والحاجة حقا فى المال الذى أخذ منه ، ولا فرق فى هذا المعنى بين مجهود يأخذ من مال غيره ، وآخذ من بيت المال ، أو من الغنيمة ، اذ كل هؤلاء لهم نصيب فيما أخذوا منه .

وابن حزم يناقش فى مسألة الوالدين ، والآخذ من بيت المال ، أو من الغنيمة ، بما ناقش به فى مسألة الاخذ فى حالة الجهد ، ويصرح فى مسألة الوالدين بالمبدأ المتفق عليه فيقول :

« ولم يخالفهم أحد فى أن الوالدين اذا احتاجا فأخذا من مال ولدهما حاجتهما باختفاء أو بقهر أو كيف أخذاه ، فلا شئ عليهما فانما أخذا حقهما »

(ص ٣٤٥ من المصدر نفسه)

ويذهب ابن القيم فى كتابه « **أعلام الموقعين** » مذهبا قريبا مما ذهبنا اليه ، حيث يعتبر سقوط القطع للشبهة التى تدرأ الحد بناء على الضرورة الملجئة فيقول فى ص ٢٣ من الجزء الثالث :

« وقد وافق أحمد على سقوط القطع فى المجاعة الاوزاعى ، وهذا محض القياس ، ومقتضى قواعد الشرع ، فان السنة اذا كانت سنة مجاعة وشدة ، غلب على الناس الحاجة والضرورة ، فلا يكاد يسلم السارق من ضرورة تدعوه الى ما يسد به رمقه ، ويجب على صاحب المال بذل ذلك له ، اما بالثمن أو مجانا ، على الخلاف فى ذلك ، والصحيح وجوب بذله مجانا ، لوجوب المواساة واحياء النفوس مع القدرة على ذلك ، والايثار بالفضل مع ضرورة المحتاج ، وهذه شبهة قوية تدرأ القطع عن المحتاج، وهى أقوى من كثير من الشبه التى يذكرها كثير من الفقهاء ، بل اذا وازنت بين هذه الشبهة وبين ما يذكرونه ، ظهر لك التفاوت : فأين شبهة كون المسروق مما يسرع اليه الفساد ، وكون أصله على الاباحة كالماء ، وشبهة القطع به مرة ، وشبهة دعوىملكه بلا بينة ، وشبهة اتلافه فى الحرز بأكل أو احتلاب من الضرع ، وشبهة نقصان ماليته فى الحرز بذبح أو تحريق ثم اخراجه ، وغير ذلك من الشبه الضعيفة جدا ، الى هذه الشبهة القوية ؟ لا سيما وهو مأذون له فى مغالبة صاحب المال على أخذ ما يسد به رمقه ، وعام المجاعة يكثر فيه المحاويج والمضطرون ، ولا يتميز المستغنى منهم والسارق لغير حاجة من غيره ، فاشتبه من يجب عليه الحد بمن لا يجب عليه ، فدرىء ، نعم اذا بان أن السارق لاحاجة به وهو مستغن عن السرقة قطع»

كل هذا يبين لنا أن الامر فى نظر عمر رضى الله عنه لم يخرج عن النص ، وليس فيه ابطال له ولا وقف ولا تعديل ، وانما هو تطبيق دقيق للفظ المشرع مع ملاحظة رغبته الصريحة فى درء الحدود بالشبهات .

والبحث موصول ان شاء الله .

محمد محمد المدنى

ومن فضل العرب

للدكتور فؤاد حسنين على

ظهور المفكرين الاحرار فى الغرب او كما يحلو لاوربا المسيحية نعتهم بالمهرطقين وذلك لان الغرب قاوم الاسلام واتباعه خوفا على المسيحية والمسيحيين كما قاوم كل دعوة الى التفكير الحر اعتقادا منه فى ان هذا التفكير من وساوس الشيطان وهكذا أصبح السواد الأعظم من الأوربيين المسيحيين يعتبرون المفكرين القليلين من بينهم مهرطقين ٠

والواقع ان الهرطقة مرتبة من مراتب الشعور الدينى ، فكل مهرطق متدين وكل مهرطق ثائر على مسالة بعينها تتصل بالعقيدة التى يؤمن بها المجتمع الذى يعيش فيه أو تريده الكنيسة أن يؤمن بها فالمهرطق مؤمن يعتقد فى الله وهو فى عقيدته هذه يبلغ مرحلة قد تدنيه من الأنبياء والقديسين وهو يضحى بكل شىء فى سبيل عقيدته الشخصية هذه حتى الحياة ٠ والواقع اننا اذا اردنا أن نكون مخلصين للذات الالهية امناء عليها يجب ألا نربط بينها وبين الكون فلا نتصور خالق الوجود والدا وان هذا الوالد يجب أن يتحلى بصفات الرجولة ، فتخيلته الكنيسة أو المسيحية شيخا ذا لحية بيضاء جالسا على عرشه فى السماء وبيده صولجان الحكم والى جواره ابنه يسوع المسيح وعلى راسيهما يحلق روح القدس فى صورة حمامة **ولا شك فى ان هذه الصورة** كانت موجودة أيام بطليموس أعنى العصر الذى تكون فيه اللاهوت المسيحى ولا شك فى أن هذه الصورة التى ترجع الى ذلك العصر لا تلائم العصر الحديث عصر الفضاء واكتشاف كنهه ٠ ومن هنا ما كاد المسيحيون يتصلون بالمسلمين فى مختلف المناسبات حتى تسرب الشك اليهم فى حقيقة هذا الاله الذى فرضته عليهم الكنيسة وراوا البون الشاسع بين الصورة التى صوره بها القرآن الكريم وتلك التى تدعو اليها المسيحية ٠ ففى اسبانيا العربية المسلمة نجد نفرا من المسيحيين الذين أقبلوا على الجامعات العربية يرتشفون من حياضها مختلف فروع المعرفة يكفرون بالتثليث فنجد (ميخائيل نروت) الذى ولد فيما يرجع فى طليطلة حوالى عام ١٥٠٩ م من أسرة نبيله فى (فيلا نويفا) بأرجون ، وفى عصر كان النزاع فيه محتدما بين العرب وأعدائهم ، يكفر بالمسيحية ويقبل على الثقافة العربية والآداب العربية اقبالا عظيما ولم يكن وحيدا فى اتجاهه هذا بل شاركه فيه كثيرون من المسيحيين مما اضطر أسقف قرطبة الى ابداء الحزن العميق على اقبال المسيحيين على لغة العدو وعلومه والانصراف اليها والتفرغ لها وترك ما عداها ، فكان ميخائيل يجيد العربية حديثا وكتابة كما استطاع أن يترجم كثيرا من الكتب الطبية العربية فى سهولة ٠ ولم يقف اهتمامه عند هذا بل اهتم بالدين الاسلامى وأخذ يقابل بينه وبين المسيحية ولما يبلغ الخامسة والعشرين من عمره وانتهت به هذه المقابلة الى انكار فكرة التثليث وانكار الوهية السيد المسيح فتعرض لتنكيل الكنيسة فهرب من البلاد كما هرب كثيرون من المفكرين الأحرار ولجا ميخائيل الى فرنسا حيث اتصل بفرنسى آخر كان يقدس العرب والعلوم العربية فعاونه على الاستمرار فى دراسة الطب فأتمه

واستعان به على الحياة • وفى عام ١٥٥١ أصدر رسالة حول بطلان التثليث ونادى بالوحدانية مسترشدا ببعض آى القرآن مثل (لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم » ومثل « لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد •• »

وفى فرنسا أيضا انصرف هذا الاسبانى المتوسط القامة النحيل الجسم المتوقد البصيرة الى دراسة المسائل اللاهوتية فقرأ الكتاب المقدس وآراء رجال الاصلاح الدينى فى القرن السادس عشر فازداد انكارا للمسيحية وعداء للبابوية فسخف الاناجيل ووجه اليها نقدا شديدا قاسيا لذلك قرر المجمع المقدس تكفيره وبخاصة لما جاهر برأيه فى التثليث على انه من عمل الشيطان • وذهب ميخائيل ثروت بعيدا فاتهم المسيحيين بأنهم يعبدون كلبا ذا ثلاثة رؤوس ، ومن ثم قرر تطهير المسيحية من هذه الخرافات واصدر كتابه المشهور حول اصلاح المسيحية واعادة تنظيم الكنيسة وتحديد رسالتها فقاد حركة اصلاح جديدة الى جانب (لوثر) فنادى بفهم الكتاب المقدس الفهم الصحيح البعيد عن تخريجات رجال الكنيسة وتأويلات البابوية كما نادى بوحدة الوجود فطالب باصلاح الانسانية • واعتقد ميخائيل ان الله أرسله لتحقيق هذا الاصلاح وذلك لان البروتستنتية لم تبلغ فى اندفاعها الاصلاحى الا منتصف الطريق وقاوم فكرة اقحام الفلسفة على الدين فرفض الشروح الخيالية للكتاب المقدس وتمسك بحرفيته ولما كان الكتاب لا يذكر شيئا عن التثليث فميخائيل لا يرى فى المسيح الا الانسان العادى فقط والذى ولد من والد فهو ليس الاله الخالد لله بل الابن للاله الابدى فالمسيح ليس خالدا خلود الله بل هو مظهر من مظاهر تجلى الذات الالهية •

وميخائيل ثروت لم يكن سفير الآداب العربية فقط بل الشريعة والطب أيضا فقد اطلع على كثير من كتب العرب الخالدة فى الطب وبخاصة شرح الطبيب المصرى ابن النفيس على كتاب القانون لابن سينا والخاص بالتشريح والذى اهتدى فيه عالمنا العربى المصرى الى الدورة الدموية قبل (هارفى) بعدة قرون فحصل (ميخائيل ثروت) ببحثه هذا المقتبس من ابن النفيس على اجازة الدكتوراه فى الطب عام ١٥٣٨ م •

وفى عام ١٥٤٠ توجه الى فينا عاكفا على اللاهوت متنكرا تحت اسم (فيلا نوبفا) ولم يأت عام ١٥٥٣ الا واتم رسالة حول (احياء المسيحية) حيث هاجم المؤلف أصول المسيحية وتعاليم الكنيسة فاصدرت محكمة الاضطهاد والحرق المنعقدة فى ليون بجلسة ٤ ابريل ١٥٥٣ أمرا بالقبض عليه فهرب (ثروت) الى جنيف فكلفت المحكمة الزعيم المصلح (!) (كلفين) القبض عليه ومحاكمته ، فما كان من (كلفين) الا أن قام وزبانيته وقبضوا عليه واودعوه سجنا فى مدينة جنيف قاسى فيه الكثير من مختلف الامراض ووسائل التعذيب فقد نهشت البراغيث جسده العارى الذى جرده رجال السجن من كل ما يستره من أسمال بالية هذا الى برد السجن القارص •

وقد بالغ الزعيم البروتستنتى فى تعذيب (ثروت) قبل حرقه ليثبت للكنيسة الكاثوليكية ان البروتستنتية ليست أقل تعصبا للتثليث وتعاليم الكنيسة من الكاثوليكية • كما ان المصلح السويسرى (كلفين) لم ير فى آراء ثروت الا جنونا ، لذلك جرده من كل ما له وما عليه فكانت هذه المعاملة الوحشية من المصلح السويسرى من الأسباب التى أثارت الرأى العام فى أسبانيا فقد استنكر هذه المعاملة الوحشية التى لم تعرفها الانسانية من قبل وخاصة بعد أن تبين للرأى العام ان (كلفين) لم يرتكب ما ارتكب الا تعزيزا لمركزه حتى انه تطرف فى تعذيب (ثروت) فى السجن وغالى فى حرقه •

ففى ٢٧ أكتوبر ١٥٥٣ دقت ساعة الحرق فسار موكب يخترق أهم شوارع المدينة وفيه (ثروت) فى حالته الرثة ممسكا بكتابه الذى سيحرق من أجله ولم يكد يصل الى المحرق حتى تقدم اليه (فلهلم فارل) محاولا رده الى ايمانه قبل حرقه فلم يوفق وظل ثروت منكرا للتثليث مؤمنا بوحدانية الله كافرا بأصول المسيحية وتعاليم الكنيسة التى تتعارض والمنطق السليم فصاح (فلهلم فارل) فى الجموع المحتشدة قائلا : — الآن ترون قوة الشيطان وكيف يتسلط على الانسان ، ان هذا الرجل العالم وهو يعتقد انه على حق والواقع انه تحت سيطرة الشيطان وما حل به قد يحل بكم •

ولما هم الجلاد بتنفيذ الحكم قال ثروت بصوت خافت « يارب يارب » فسأله (فارل) أليس عندك

شيء آخر ؟ الا تريد أن تضيف اليه عبارة أخرى ؟ فاجابه ثروت : ماذا أستطيع أن أقول أكثر من أن اذكر الله ، فرفعه الجلاد بوساطة سلسلة الى عمود ووضع على رأسه ، امعانا في تعذيبه ، اكليلا به كبريت ، ولما أوقدت تحته النيران صرخ قائلا « الرحمة الرحمة » وظل ينازع سكرات الموت نحو نصف ساعة وذلك لأن الخشب الذى استخدم لم يكن يابسا لتطول ساعات الحرق والتعذيب ٠

وهكذا مات ثروت الاسباني جنسا العربي ثقافة شهيدا ضحية ايمانه وعقيدته وقد كان من بين القليلين الذين طالما رتلوا عبارة « الله محبة » ٠

اما المصلح البروتستنتى السويسرى (كلفن) وهو المسئول عن حرق ثروت فقد أدانه بعض أنصار ثروت واعتبروه المجرم الحقيقى ولا سيما أنه قد ثبت انه كان متعطشا الى ازهاق روحه ، فقد كتب الى (فارل) قبل وصول ثروت الى جنيف بسبعة أعوام يقول : لو يحضر ثروت الى جنيف فانني سابذل جهدى لقتله ٠ وكتب مرة أخرى لصديق له يقول « **ارجو ان يصدر الحكم بحرقه** » ٠

ان رماد جسد ثروت فى محرق (شمبل) لم يذهب الى حيث أراد (كلفن) واعوانه من جلادى حرية الرأى والعقيدة ، ان ثروت لم يمت بل انتصر على الموت انتصار (أوزيريس) على (ست) وكما ان اشلاء جسد أوزيريس كانت حياة وخصوبة لوادى النيل وسكانه كذلك الحال مع رماد جسد ثروت فقد حملت ذراته الرياح الى مختلف البلاد فظهر عدد من شهداء الحرية الذين صعدت أرواحهم راضية مطمئنة الى الله الواحد الأحد الفرد الصمد وكانى بها فى ملكوت الله تلعن الطغاة السفاكين الذين دفعهم تدينهم الاعمى الى ارتكاب أبشع الجرائم واشنعها ٠ لم يكن ثروت شيطانا لكن الشيطان ضحك منتصرا لما اقدم (كلفن) وزبانيته على تنفيذ خطيئته هذه ٠

ان حرق ثروت جريمة لا ضد (كلفن) وحده بل ضد البروتستنتية ، ان محرق (شمبل) بقعة سوداء فى تاريخ حركة الاصلاح الدينى فى سويسرا وفى جنيف والمحرق أيضا وصمة عار فى الكاثوليكية التى اعترفت لكلفن بمسيحيته لارتكابه هذا الجرم . ان هذه السبة التى لحقت بالمسيحية كاثوليكية وبروتستنتية لن تغسلها مياه نهر الرون ٠ ولعل هذا الشعور بفظاعة الجرم هو الذى دفع اتباع (كلفن) الى تشييد تمثال طلبا للغفران لروح الشهيد ثروت واعترافا من البروتستنتية بالجرم الذى اقترفته ٠

يجب على المسيحية أن تعلم ان الحرق ليس هو الوسيلة لتغيير الرأى أو العقيدة ٠ ان الحرق نال من جسم ثروت وأمثاله اما العقيدة فقد ظلت حية باقية آمن بها عدد كبير من أحرار المسيحيين امثال (سوسينى) (١٥٢٥ ـ ١٥٦٢) وهو أحد ابناء مدينة (سينا) بايطاليا فقد كان هذا الباحث عن الحقيقة مولعا بالاسفار والاتصال بالمفكرين الأحرار فزار بولنده مرتين حيث اتصل بعدد من رجال الاصلاح الدينى وكتب كثيرا من الرسائل التى لم تر النور الا بعد وفاته فتولى ابن أخيه المسمى (فوستو سوسينى) (١٥٣٩ ـ ١٦٠٤) وهو من المؤيدين لعمه نشرها وقام برحلة الى بولنده نجح خلالها فى تأسيس المذهب الذى نسب الى (سوسينى) ويعرف اتباعه باسم (سوسينيين) كما شيد كنيسة خاصة بهذه الفرقة التى اشتهرت أيضا باسم (يونيتاريز ـ الموحدين) وهم كما يدل عليهم اسمهم يكفرون بالتثليث ولا يؤمنون بالوهية الابن فعيسى لديهم نبى فقط ٠ ولم يمض زمن طويل حتى بلغ عدد كنائس هذه الطائفة أكثر من مائة كنيسة منتشرة فى بولنده وليتوانيا وغيرهما ٠ ولم يقف نشاط طائفة الموحدين عند الكنائس بل افتتحوا لهم مدارس خاصة تدعو الى التوحيد ومن أشهرها وأولاها تلك التى افتتحت عام ١٦٠٢ فى مدينة (راكوف) ، كما تمتاز تراتيمهم الدينية بعدم ذكر المسيح أو القديسة مريم وقد تعرضوا فى بولنده لبعض أعمال العنف والاضطهاد فرحل نفر منهم الى هولنده والمانيا وانجلترا والمجر وامريكا حيث نجد كنائسهم فى العالم الجديد يربو عددها على خمسمائة كنيسة كما ان عددهم آخذ هناك فى الازدياد المضطرد ٠

وتقوم بين موحدى أوربا وأمريكا صلات قوية منذ النصف الثانى من القرن التاسع عشر وذلك توكيدا للتعاون معا فى سبيل الحصول على اعتراف الحكومات المختلفة بحرية العقيدة لمواطنيها ففى انجلترا نجد الموحدين بزعامة (مارتينو) ينجحون فى القرن السابع عشر فى انتزاع اعتراف الحكومة البريطانية بحرية العقيدة لرعاياها وترتب على هذه

الخطوة أن أسس الموحدون البريطانيون معاهد دينية خاصة بهم فى انحاء مختلفة من الجزر البريطانية مثل منشستر واكسفورد ويلز ٠

اما انتشار مذهب الموحدين فى امريكا فيدين للواعظ الشهير (جيمس فريمان) (١٧٥٩ - ١٨٣٥) حيث نشط فى بوسطن فاكتسب انصارا كثيرين ومنها انتشر هذا المذهب فى جهات أخرى وبخاصة فى (ماساشوسيت) حيث نجحوا فى كسب جامعة هرفرد فى أوائل القرن التاسع عشر فوجدوا فيها سندا قويا للموحدين الامريكيين الذين افتتحوا ثلاثة معاهد دينية هامة فى بوسطن و (ميدفيل) و (بركلى) كما شيدوا ما يقرب من خمسمائة كنيسة٠

وهكذا كلما تتقدم الأيام يثبت لنا ان الطغيان ليس هو القوة العليا فى هذا الوجود بل الحق والايمان وان الشهيد ثروت الذى مات ضحية ايمانه بتعاليم القرآن الكريم فيما يتعلق بالوحدانية بعث ثانية وحمل مشعل العقيدة العربية عاليا وضاحا فظهر أمثال (سبستيان كستللو) وكذلك (سبستيان فرنك) الذى كانت ترنيمته الدينية :

لا اريد أن أكون باباويا
لا اريد ان أكون لوثريا
لا أريد ان أكون مسيحيا

و (جوتفريد ارنولد) و (جيوردانو برونو) وغيرهم من ائمة المفكرين الاحرار فى العالم واشهر المعاصرين هو الاسقف البريطانى (جون ١٠ ت ٠ روبينسون) الذى نشر فى صحيفة (ذى اوبزرفر) عدد ١٧ مارس ١٩٦٣ ملخصا لآرائه التى ضمنها كتابه الذى ظهر فى نفس الشهر حول فكرة الله ٠ ويكفى أن أذكر هنا ان كتابه (أمينا لله) الذى تقدر طبعته الاولى بنصف مليون نسخة قد نفدت بمجرد صدورها كما ان الكتاب ترجم الى ثمانى لغات ٠ وقد هاجم المؤلف الفكرة المسيحية التى تصور الله هذه الصورة البدائية التى لا تتفق وتفكيرنا الحديث وختم كتابه بقوله « **ان الاله الاب اسطورة فقط** » وهكذا يطرد المؤلف الذى كان أستاذا للاهوت فى جامعة كمبردج معقل المذهب الانجليكانى ٠ وقد نشر فكرة الله فى المسيحية من قبل ثمانية كتب حول العهد الجديد والمسيحية كما اشتهر بدفاعه المشهور عن كتاب « عشيق اللادى شترلى » امام القضاء ودعا الى وجوب تداوله بين المسيحيين ذكورا واناثا شبابا وشيبا ٠

ولم يكن الاسقف (روبينسون) هو أول من وقف هذا الموقف من اله المسيحيين فى القرن العشرين بل سبقه اللاهوتى الالمانى (بونهوفر) الذى نادى فى ٣٠ ابريل ١٩٤٤ بمثل هذا الراى فزج به النازيون فى السجن واعدم وقد قال : **اننا نؤمن بالمسيحية منذ أكثر من ١٩٠٠ عام ، وهذا الايمان يعتمد أولا وقبل كل شىء على الشعور الدينى عند البشر لكن اذا ما تحررت الانسانية من هذا الشعور الدينى انهار صرح المسيحية ٠**

ويعاود الاسقف البريطانى الحديث عن آرائه فى كتابه فى مقال نشره فى (سنداى ميرور) فيقول انه اصدر كتابه هذا لأولئك الذين يفرون من المسيحية يوميا صائحين غرباء ويعلنها الاسقف صريحة « من هو الله فى النصف الثانى من القرن العشرين ؟ » ٠

ان مناداة هذا الاسقف الانجليكانى بهذا الراى عمل عظيم حقا يدعو الى الاعجاب والتقدير فهو يعد ولا شك الراى العالمى الى حركة اصلاح دينية جديدة أو بتعبير آخر التمهيد لتطور عقلى عظيم ٠ وهو يذكر فى مقدمة كتابه ان رسالة رجال الدين فى السنوات القادمة يجب أن تتعدى اعادة طبع النصوص الدينية القديمة وتتعرض الى صياغة التعاليم المسيحية صياغة اخرى وبخاصة ادراكنا لفكرة الله هذه الفكرة التى نريد الآن التخلص منها اذا ما أريد للعقيدة المسيحية أن تقدم بدور ما فى عالمنا هذا ٠

ويذكر الدكتور الاسقف روبينسون عبارات أخرى هامة جدا فهو يقرر ان الانسان ليجدن بين كثيرين من أصدقائه غير المسيحيين افرادا اقرب الى ملكوت الله منه وهؤلاء الافراد برفضهم العقيدة المسيحية انما يرفضون هذا الجانب الذى يتعارض والتفكير السليم ٠ ان الاسقف يدرك تمام الادراك ان الكنيسة تحاول استخدام عملة زائفة لتربح من ورائها أموالا طائلة ، وهى تدرك تمام الادراك ان العملة التى القت بها فى السوق زائفة ٠

هذا هو تراث العروبة فى الغرب لا يزال حيا قويا متدفقا يتنقل بين العالمين القديم والجديد منذ ان طوت العروبة الويتها فى الاندلس فحملها امثال (ثروت) وبذرها فى اوربا فاينعت وانتجت ٠

اما هنا فى البلاد العربية فنفوس حائرة وعيون زائفة وشعوب لا تعرف مصيرها ٠

دكتور فؤاد حسنين على

السياسة الجنائية الشرعية

بقلم أحمد فتحي بهنسي

- ٢ -

ذكرنا في **المقال السابق** أن مبنى الشريعة هو على العدل وأنها مصالح كلها وحكمة كلها ، وأن السياسة الرشيدة هي التي لا تقف جامدة عند عدم النصوص وانما تنفذ الى المصالح الحقيقية للناس ما دامت في الاطار الذي نزل به القرآن أو جاءت به السنة .

لذلك اضطر الخلفاء وغيرهم من الائمة المجتهدين الى النزول أمام الوقائع والاجتهاد فيها بما يحقق المصالح العامة أولا ، ثم المصالح الخاصة للأفراد .

تلك كانت سياستهم الرشيدة : حزم وعزم وبعد نظر ، ولكن هل تتغير هذه السياسة بتغير الأزمان والأماكن ؟ أم هي ثابتة أبد الدهر على الجيل الذى ابتدعت فيه والأجيال التى تلتها ؟

من المعروف أنه اشترك في الفتوح الاسلامية كثير من الصحابة العلماء بشريعة الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء الذين تفرقوا في الأمصار قاموا بواجبهم خير قيام فامدوا الولاة بالراى والمشورة وافتوا الجماعات والأفراد بما غمض عليهم من شرع الله تعالى فيما يظهر أنه لم يرد فيه نص . ونقصر الكلام على الناحية الجنائية فنذكر بعض المسائل التى عرضت لهم ونرى كيف كانت سياستهم تجاهها واجتهادهم فيها .

فى جريمة السرقة :

أولا : قال الله تعالى : « **والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم** » .

أى ان ثبتت السرقة على شخص تقطع يده بالطريقة وبالكيفية وبالنظام الذى بينته السنة عقوبة له وزجرا لغيره حتى يأمن الناس على أموالهم وأرواحهم .

الا أنه قد جدت وقائع استهدف فيها الخلفاء الراشدون سياسة تدل على حزم وعزم ، سياسة تدل على فهم اصيل لروح الشرع . روى الامام مالك في الموطأ :

ان رقيقا لحاطب سرقوا ناقة لرجل من مزينة فانتحروها ، فرفع ذلك الى عمر بن الخطاب فامر عمر كثير بن الصلت ان يقطع ايديهم ثم قال عمر : اراك تجيعهم . ثم قال عمر : « والله لأغرمنك غرما يشق عليك » . ثم قال للمزنى : كم ثمن ناقتك ؟

فقال المزنى : كنت والله أمنعها من اربعمائة درهم فقال عمر : اعطه « الأمر لحاطب » ثمانمائة درهم .

قال يحيى : وسمعت مالكا يقول : وليس على هذا العمل عندنا فى تضعيف القيمة ، ولكن مضى أمر الناس عندنا على أنه انما يغرم الرجل قيمة البعير او الدابة يوم أخذها .

نفهم من هذا الأثر أمورا ثلاثة :

الأمر الأول :

فهم عمر بن الخطاب أن قطع اليد عقوبة شرعت للسارق الذى يسرق من غير حاجة تلجئه الى السرقة فاذا تبين أن هؤلاء سرقوا لياكلوا لم ير أن يمضى عليهم حد السرقة .

الأمر الثانى :

لما رفع عمر العقوبة عن السارق لم يرد أن يمضى الأمر هكذا بدون تضمين المزنى صاحب الناقة فكلف حاطب مولى الرقيق بتعويضه ، ولكنه وجد أن ثمن المثل فيه اجحاف بالمجنى عليه من ناحية ، ومن ناحية أخرى ليس فيه ما يروع حاطب الذى ترك عبيده جياعا يمدون يدهم الى أموال غيرهم فضاعف الغرم عليه وكلفه بسداد ثمن الناقة ومثله معه .

الأمر الثالث :

ان هذا الحكم الذى اشار به عمر بن الخطاب ونفذه فى زمانه فى تلك الحادثة قال فيه الامام مالك رضى الله عنه وهو الذى عاش فى زمان غير زمان عمر :

وليس على هذا العمل عندنا فى تضعيف القيمة ولكن مضى أمر الناس عندنا على أنه انما يغرم الرجل قيمة البعير او الدابة يوم اخذها ،

أى أن تغير الزمن كان له دخل فى تغير الحكم .

ثانيا : روى أن جنارة بن أمية قال : **كنا مع بسر بن ارطاة فى البحر ، فاتى بسارق يقال له مصدر قد سرق بختية « وهى أنثى الجمال الطويلة الأعناق » فقال : قد سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقطع الأيدى فى السفر ولولا ذلك لقطعته . وفى رواية أخرى فى الغزو .**

وهذا الأثر جعل « أبو حنيفة » يقول :

اذا غزا الجند أرض الحرب وعليهم أمير فانه لا يقيم الحدود فى عسكره .

وقال أبو يوسف : أخبرنا بعض أشياخنا عن مكحول عن زيد بن ثابت رضى الله عنه أنه قال : لا تقام الحدود فى دار الحرب مخافة أن يلحق أهلها بالعدو . والحدود فى هذا كله سواء .

وروى أيضا أن عمر رضى الله عنه كتب الى عمير ابن سعد الأنصارى والى عماله الا يقيموا حدا على احد من المسلمين فى أرض الحرب حتى يخرجوا الى أرض المصالحة .

وقد احتج أبو يوسف فى كتاب الخراج لهذه المسألة فقال :

حدثنا الأعمش عن علقمة قال : غزونا ارض الروم ومعنا حذيفة وعلينا رجل من قريش فشرب الخمر فأردنا أن نحده ، فقال حذيفة : تحدون أميركم وقد دنوتم من عدوكم فيطمعون فيكم !!

وروى أيضا عن الأعمش عن ابراهيم عن علقمة قال : أصاب أمير الجيش وهو الوليد بن عقبة شرابا فسكر ، فقال الناس لأبى مسعود وحذيفة ابن اليمان : اقيما عليه الحد فقالا : لا نفعل نحن بازاء العدو ونكره أن يعلموا فيكون جرأة منهم علينا وضعفا بنا .

كما روى أن أبا الدرداء نهى أن يقام على أحد حد فى أرض العدو .

فقد فهم الأئمة والفقهاء أن حكم الرسول بعدم القطع عقوبة جريمة السرقة فى الحرب يجب أن ينسحب على باقى العقوبات لنفس الحكمة التى توخاها صلى الله عليه وسلم وهى ما يلحق بالمسلمين من الضرر باقامة الحد فى أرض العدو .

ومع هذا الوضوح فى النصوص نجد بين الفقهاء من لا يجيز سحب الحكم الذى أورده الرسول صلى الله عليه وسلم على باقى الحدود كالامام الشافعى والأوزاعى .

قال الأوزاعي : من امر على جيش وان لم يكن امير مصر من الأمصار اقام الحدود في عسكره غير القطع حتى يقفل من الدرب فاذا قفل قطع .

وقال الشافعي : يقيم أمير الجيش الحدود حيث كان من الأرض اذا ولي ذلك ؛ فان لم يول فعلى الشهود الذين يشهدون على الحد أن يأتوا بالمشهود عليه الى الامام والى ذلك ببلاد الحرب أو ببلاد الاسلام ولا فرق بين دار الحرب ودار الاسلام فيما أوجب الله على خلقه من الحدود . وما روى عن عمر بن الخطاب منكر . ويعيب الشافعي على ابي يوسف بأن يحتج بحديث غير ثابت اذ يقول أبو يوسف : حدثنا شيخ !! ومن هذا الشيخ ؟؟ ويقول مكحول عن زيد بن ثابت ومكحول لم ير زيد بن ثابت .

ونخلص من هذا الأثر الى امور :

اولا : ان كل فريق رتب على الحديث النبوى الوارد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير ما رتبه الفريق الآخر .

ففريق يقرر أنه لما كانت علة تأجيل الحد فى السرقة هى ما يلحق بالمسلمين من ضرر باقامة الحد فى أرض العدو ، سواء لخشيته من أن تأخذ المحدود العزة بالاثم فيلحق بالكفار أو أن يطمع العدو فى المسلمين حين يعلم ما حدث لرجالهم ، يرى هذا الفريق أن ينسحب هذا الحكم على سائر الحدود فى بلاد الحرب .

وفريق يقرر أن الحديث يقف عند حد الاعفاء فى قطع اليد فى السرقة فقط ولا ينسحب الاعفاء على وقف باقى الحدود فى الحرب ويقولون فى ذلك :

لافرق بين دار الحرب ودار الاسلام فيما أوجب الله على خلقه من الحدود لأن الله عز وجل يقول : السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما والزانية والزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ، وسن رسول الله صلى الله عليه وسلم على الزانى الثيب الرجم وحد الله القاذف ثمانين جلدة لم يستثن من كان فى بلاد الاسلام ولا بلاد الكفر وأن الحلال فى دار الاسلام حلال فى بلاد الكفر والحرام فى بلاد الاسلام حرام فى بلاد الكفر فمن أصاب حراما فقد حده الله على ماشاء منه ولا تضع عنه بلاد الكفر شيئا . أما القول بأن المحدود قد يلحق بالمشركين فان لحق بهم فهو اشقى له .

ثانيا : أن هذا الخلاف بين الفريقين يدفع غيرهم فى غير زمانهم الى الاجتهاد فى الأمر وتنفيذ السياسة التى يرون أن فيها مصلحة راجحة لهم .

ثالثا : ان الاعفاء من العقاب فى هذه الأحوال سواء كان بالنسبة لقطع اليد فى جريمة السرقة ام بالنسبة للعقوبة فى باقى الحدود انما هو اعفاء مؤقت ينتهى وقته بانتهاء الحرب وعودة الجيش الى البلاد . فاذا عاد الجيش الى بلاده فيلزم عند ذاك تنفيذ الحد المؤجل فورا وبلا تأخير .

بقيت لنا كلمة فى هذا الأمر وهو أن بعض الفقهاء المحدثين يقولون ان صنيع عمر هنا يشبه صنيعه فى عام المجاعة حين نهى عن القطع .

ذكر عن الحسن عن رجل قال : رأيت رجلين مكتوفين ولحما فذهبت معهم الى عمر رضى الله عنه فقال صاحب اللحم : كانت لنا ناقة عشراء ننتظرها كما ينتظر الربيع فوجدت هذين قد اجتزراها فقال عمر رضى الله عنه : هل يرضيك من ناقتك ناقتان عشراوان مربعتان ؛ فانا لا نقطع فى العذق ولا فى عام السنة وكان ذلك فى عام السنة ، والعشراء هى الحامل التى أتى عليها عشرة أشهر وقربت ولادتها فهى أعز ما يكون عند أهلها ينتظرون الخصب والسعة بلبنها .

ونود أن نقرر أن ما فعله عمر فى عام المجاعة من نهيه عن القطع لم يكن سياسة جديدة منه وانما هو كان يطبق سنة عن النبى صلى الله عليه وسلم .

روى مكحول رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : **لا قطع فى مجاعة مضطر** . ورواه أيضا الخطيب عن أبى أمامة .

احمد فتحى بهنسى



تطور العلاقات الثقافية العربية ـ الهندية

بقلم : محيى الدين الألوائى



الرئيس جمال عبد الناصر ولال بهادور شاسترى ـ رئيس وزراء الهند

ان العلاقات الثقافية بين **العرب والهند** لترجع أصولها الى عهود بالغة فى القدم ، فتطورت تلك العلاقات وتبلورت حسب تقلبات الزمن حتى صارت الآن موثقة العرى ، وموطدة الاركان ، واتسع نطاقها اتساعا عظيما بعد مشاركة العرب والهند على أساس المحبة والتعاطف ، والارشاد فى النضال السياسى المشترك ، الذى تعرضت له الامتان للتحرر من التدخل الاجنبى ، الذى كان بمثابة عقبة كاداء فى سبيل التقدم المرموق لكلتا الامتين فى الوجوه المختلفة لمرافق الحياة البشرية ، وقد ظل زعماء الهند والعرب السياسيون والثقافيون ، يستوحون المثل السامية لخلق فصل جديد فى تاريخ العلاقات العربية الهندية حتى تمكن الشعبان الآن أن يستهلا عصرا جديدا من التبادل الثقافى والتفاهم الفكرى . ومن هنا يكون من المفيد أن نقف وقفة عابرة نتأمل فيها مظاهر هذه العلاقات ومعالمها فى البلدين فى الوقت الحاضر ، وذلك لنتبين مدى ما تدين به الهند للعرب ، والعرب للهند قديما وحديثا :

يقول العلامة الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ ١١٥٣ م فى كتابه « **الملل والنحل** » فى معرض تقسيم أهل العالم « منهم من قسمهم حسب الامم ، فقال : كبار الامم أربعة ـ العرب والعجم والروم والهند ـ ثم زاوج بين أمة وأمة ، فذكر أن العرب والهند تتقاربان على مذهب واحد ، واكثر ميلهم الى تقرير خواص الاشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق ، واستعمال الامور الروحية » ، ومن هنا كانت النظريات الى الامور والحكم عليها متقاربين على نهج واحد ، ومن ناحية اخرى كانت منتجات الهند ومحصولاتها موضع اهتمام العرب ، فعملوا على الاتجار معها ، وازدهار العلاقة التجارية بين

البلدين ، كما ظهر ذلك جليا من كثرة ورود أسماء الاشياء الصادرة من الهند الى العرب ، في قصائد الشعراء العرب القدامى ، وفي منثوراتهم ، كالفلفل والقرنفل والسيف « المهند » وغير ذلك حتى قيل ان تسمية البلاد الهندية « بالهند » ـ ومن المعروف أن اسمها الاصلي هو « بهارت » ، كما هو الاسم الرسمي المنصوص عليه في الدستور الهندي ـ ترجع الى العرب ، لانهم كانوا يلقبون كل شيء محبب اليهم بلفظ الهند أسوة ببناتهم ، فلما توثقت العلاقات التجارية والثقافية بين البلدين ، واصبحت «بهارت» ومنتجاتها محل اعجاب وتقدير لدى العرب ، بدأوا يطلقون كلمة « الهند » على تلك البلاد بدلا من «بهارت» ، في محادثاتهم ، وأشعارهم ، فاشتهرت على مر الايام باسم «الهند» .

والمعروف أن العلاقات بين الهند والعالم العربي قد قامت منذ ثلاثة آلاف عام قبل الميلاد ، وكان العرب يغدون الى سواحل الهند الغربية قبل قدوم الاسكندر الاعظم بقرون عديدة ، وأن محصولاتها كانت تصدر الى جزيرة العرب عبر الخليج ، ومن هناك ينقلها التجار العرب الى سوريا ومصر ، وأما التجار الغرب فكانوا يشترون تلك السلع من هذين البلدين ، ثم يصدرونها الى بلادهم ، وبعد أن لاقت الدعوة الاسلامية نجاحا وانتشارا منذ هجرة الرسول عليه الصلاة والسلام الى المدينة ، اعتنق مئات من قبائل العرب الدين الاسلامي خلال الاعوام التالية ، وقد دخل سكان اليمن وحضرموت في الاسلام أفواجا ، وكانوا جميعا من التجار الذين كانوا يشحنون البضائع الى الخليج ومصر وسواحل الهند الغربية مثل «ملابار ، ومعبر ، وسند» وكذلك الى «سيلان ، وجاوا ، والصين» وغيرها من البلدان النائية ، وبطريق هؤلاء التجار وصل صوت الاسلام الى الهند وسيلان عقب انبثاق فجره في جزيرة العرب . فبدأت اللغة العربية وآدابها تنتشر وتتأصل في ربوع الهند بأيدي رجال العرب والهنود الذين اعتنقوا الدين الاسلامي ، فجاهدوا في نشر هذه اللغة وعلومها في أنحاء البلاد باعتبار كونها لغة القرآن الكريم ، والعلوم الاسلامية ، وهمزة الوصل بين الهند والعالم العربي .

وترك دخول الاسلام في الهند ، بطريقة سلمية ودية ، أثرا بالغا في نفوس ملايين الهنود ، وساعد على توسع نطاق العلاقات الثقافية ، والروابط الروحية بين العرب والهنود فبدت معالم الثقافة العربية في أنحاء الهند ، بينما ازداد اهتمام العرب بصفة عامة ، وعلمائهم بصفة خاصة بالهند ، وأصبح أثر النفوذ العربي ملموسا في طول البقاع الساحلية للقارة الهندية ، والتقاليد والعادات العربية منتشرة في بقاع عديدة في المناطق التي استوطن فيها المهاجرون العرب الاول في الهند . واستمر ازدهار العلاقات الثقافية والفكرية بين الهند والعالم العربي الى أن بسط الاجنبي سياسته المتبعة «فرق تسد» . وفي غضون القرن التاسع عشر ، والنصف الاول من القرن العشرين مرت الهند ، والدول العربية بفترة تميزت بالتسلط الاستعماري الغاشم ، واستهدف الجانبان التحرر من نير الاجانب بالتعاون والمحبة ، والدليل على ذلك التفاهم والتعاطف اللذان كانا يبدوان في صفوف زعماء الهند والعرب ، بينما كان كثيرون من الكتاب العرب وأدبائهم ومفكريهم ، في تلك الحقبة معروفين جيدا في الهند ، وقد كان لهم أثر عميق على الفكر والادب عند الهنود ، فاذا كان «عرابي ، وسعد زغلول ، ومصطفى كامل» يوثقون التفاهم السياسي مع أمثال «غاندي، ونهرو، وآزاد»، كان « شوقي ، وحافظ ، والشيخ محمد عبده » يتركون أثرا طيبا في المجال الثقافي والادبي في كتابات «طاغور ، وشبلي ، ودهلوي» .

وباستكمال التحرر من السيطرة السياسية الاجنبية بدأ عصر جديد عند العرب والهندعلى السواء في ميدان تقوية العلاقات الثقافية ، الى جانب العلاقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها . ومن البشرى والامل أن نطاق العلاقات الثقافية الراهنة بين الامتين ، يزداد توسعا يوما فيوما بفضل جهود رجال البلدين الذين تشبعوا بروح الفكر والادب ، واستضاءوا بنور العلم والعرفان .

ومن المعالم الحية التي تلقى ضوءا على مدى تطور العلاقات الثقافية العربية الهندية ، معاهد اللغة العربية وآدابها المنتشرة في أنحاء الهند ، ومنها المدارس العربية التي تقوم على المساعدات الخيرية والتبرعات الأهلية ، ومنها الكليات العربية التي تجرى تحت اشراف الجامعات الحكومية ومساعداتها . وهناك جامعات عديدة فيها أقسام خاصة للدراسات العربية ، مثل جامعة عليكرة في شمال الهند ،

والجامعة العثمانية فى حيدر آباد وجامعة مدراس وجامعة كيرالا بجنوب الهند وجامعة بيهار وجامعة كلكتا فى شرقى الهند ، وجامعتى لكنهو والله آباد فى الهند الوسطى وجامعة كشمير وغيرها • وتوجد الآن فى مختلف أنحاء الهند مكتبات كبرى تضم مجموعة قيمة من الكتب العربية القديمة والحديثة مثل مكتبات جامعة عليكره والجامعة العثمانية ودار المصنفين بأعظم كره ودار العلوم بلكنهو وديوبند وندوة المصنفين بدلهى • وهناك أيضا دور خاصة للنشر والطبع والتأليف باللغة العربية مثل دائرة المعارف العثمانية بحيدرآباد ومجلس الهند للروابط الثقافية بدلهى وندوة العلماء بلكنهو ويصدر مجلس الهند المذكور مجلة باللغة العربية باسم « ثقافة الهند » بينما تصدر من لكنهو مجلة اسلامية باللغة العربية باسم « **البعث الاسلامى** » • وتنشر دار النشر فى ملابار بولاية كيرالا ، مجلة ادبية باللغة العربية باسم « البشرى » وهكذا يتوسع نطاق مظاهر الثقافة العربية فى الهند اليوم مع مستقبل زاهر فى ربوعها •

ونرى الطابع العربى فى كثير من الفنون الهندية والآثار التاريخية الخالدة المنتشرة فى أنحاء البلاد مثل القلاع والمساجد والأضرحة والمبانى الأثرية ، وتتجلى فى كل منها مظاهر الفن العربى وروعته حتى يخيل الى الزائر فى أول وهلة ، عندما يقوم بزيارة بعض المدن الرئيسية ، مثل دلهى وآجرا وحيدر آباد كأنه فى احدى الأماكن التاريخية فى بلد عربى ، وكذلك يرى الزائر الأزياء العربية ، كالعمامة والجلباب والسروال والطيلسان والقلنسوة وغيرها منتشرة بين الهنود بصرف النظر عن اختلاف الأديان والطوائف ، كما يجد هو فى بعض المدن الساحلية، فى ولاية كيرالا ، وبومباى وغيرهما ، عددا كبيرا من جاليات عربية يشتغلون بالتجارة محتفظين بثقافاتهم وعاداتهم العربية الخالصة ، وتغلغلت تلك العادات ومظاهر هذه الثقافة ، الى السكان المحليين ، فى مناسبات أفراحهم وأعيادهم ، بل وحياتهم اليومية• وهذا قليل من كثير من آثار تطور العلاقات الثقافية بين الشعبين ، على مر السنين •

وأما الأثر العربى فيمكن تبينه بطريقة ملحوظة فى اللغات الهندية المختلفة وآدابها ، بل قد أعانت اللغة العربية ، بقوة سحرها ، وغزارة مادتها ، فى الارتقاء ببعض لغات الهند، كاللغة الأردية مثلا، حيث توجد فيها من الكلمات العربية بمعدل ٣٠٪ ، ومن اللغات التى أثرت فيها اللغة العربية ، البنجابية والملايالمية والججراتيةوالسندية والكشميرية وغيرها• وأما اللغة السندية التى هى لغة الهندوس والمسلمين على السواء، فلا تزال تكتب بخط عربى وفيها كلمات لا تحصى من العربية ، وأسلوبها ـ الى حد كبير ـ اشبه بالعربية منها بأية لغة أخرى هندية ، وكذلك يستعمل بعض أهالى ججرات الخط العربى فى كتابة لغتهم ، ومن الطريف أن المسلمين فى منطقة ملابار يكتبون لغة « ملايالم » بالخط العربى ، وأن اللغة العربية على رغم كونها ليست لغة المحادثة والتفاهم بين مسلمى الهند ، يعتبرونها لغة مقدسة ، ويقرأون القرآن ، والتراتيل الدينية يوميا بالعربية نفسها، وان لم يتمكنوا من متابعة معانيها •

وهكذا نرى نفوذ **الثقافة العربية** جليا فى ميادين كثيرة من الحياة الهندية ، وأما العلاقات السياسية بين العرب والهند ، فظلت دائما مبنية على المحبة المتبادلة والاحترام المتبادل ، ودليل ذلك واضح فى كتب الرحالة والسياح العرب ابتداء من « **التاجر سليمان** » فى القرن التاسع و « **البيرونى** » فى القرن الحادى عشر ، و « **ابن بطوطة** » فى القرن الرابع عشر الى مؤرخى العصر الحديث • وأن العرب دخلوا الهند تجارا محبوبين ، واستقروا بها يتزاوجون من أهلها على علاقة ثقافية سلمية ، بينما كان الهنود موضع تقدير العرب وثقتهم ، وهذه الصلات الوثيقة قد تركت أثرا فعالا فى مرافق الحياة المادية والفكرية فى كلا الشعبين •

وهكذا تكون الهند مدينة للعرب بطريق غير مباشر فى ميادين ثقافية وأدبية وعلمية ، واقتصادية واجتماعية ؛ رشيد ماقدمه العرب للهند طوال تلك العصور قاعدة متينة تقوم عليها دعائم العلاقات الثقافية بين البلدين فى الوقت الحاضر •

واذا ألقينا نظرة خاطفة الى ما قدمته الهند للعرب فى ميدان النهضة الثقافية والعلمية فنجد أمثلته ظاهرة فى ميادين العلوم والفلسفة والمعارف الهندية ، واستمرت عملية نقل المعارف العلمية والآراء الفلسفية الهندية الى العربية حتى بداية القرن

البقية على صفحة « ٢٠ »

ذكرى ملك حفني ناصف

بقلم : روحية القليني

يوافق يوم ١٧ من اكتوبر ذكرى وفاة الكاتبة الشاعرة ، المصلحة الاجتماعية **ملك حفني ناصف** .

ولدت فى ٢٥ من ديسمبر عام ١٨٨٦ وتوفيت فى ١٧ من اكتوبر عام١٩١٨ وهى فى أوج شبابها ... فى عمر الزهور ، ولكنها تركت أثرا خالدا ، وذكرى باقية على الزمن . بل انها شاركت مشاركة فعالة فى تدعيم مكانة المرأة . ولقد أصبح واجبا علينا وقد وصلت المرأة الى ماوصلت اليه الآن فى مجالات الادب والعلم والفن أن نذكر رائداتنا اللاتى عبدن لنا الطريق ، وحملن المشاعل لنسير على هديها ، وقمن بالدور الاكبر فى تخطى العقبات ، ومواجهة مشاكل المرأة فى فجر نهضتها . وطريق الفن نار ونور ، نار تحرق وتصهر القلوب التى تعيش على الالم والحب والحرمان والامل ، وتحيله بالتجربة الواعية الى فن أصيل خالد ساحر .

هذه التجربة لا يخلد بعدها الا الفنان الاصيل المعتمد على تجربته الذاتية وعلى أصالته الفنية ، وعلى التفانى بل الفناء فى عمله الفنى ، وهو بعد ان يثبت فى الميدان ، وبعد أن يكون قد أضناه المسير ، وصقلته التجربة ، يقوم التاريخ بابراز أهمية الدور الذى لعبه . وكانت رائدتنا ملك احدى هؤلاء النابغات اللائى عشن لارضاء رغبتهن الفنية ، وجاء التاريخ وخلدها خلودا لم تسع هى اليه ، وانما سعى هو اليها فخورا بما أسدته الى المرأة ومواهبها وكرامتها من جهود ، و **ملك** كانت شاعرة مقلة رغم شاعريتها المتدفقة وانى لاعتبرها مصلحة اجتماعية قبل ان تكون شاعرة ، ولو أنها انصرفت للشعر لملأت الدواوين بما لها من حس مرهف ، وطبع صاف ،ورقة ساجية ، شأن كل شاعر أصيل .

ولكن **ملك** كانت ترى ان عليها واجبا نحو بنات جنسها حينئذ ، ونحو وطنها أولا وأخيرا ، اذ عاشت فى وقت كان تعليم البنات فيه مقصورا على المدارس الاجنبية ولفئة معينة من الاسر القادرة وكان الرجل ينظر غالبا للزوجة على أنها مكملة لاثاث البيت وليست الصديقة المخلصة والشريكة الحانية . وكانت هى نفسها غير سعيدة فى حياتها الزوجية ولكنها تحملت وصبرت حتى لا يقال ان المتعلمة لا تصلح زوجة فكانت كل هذه العوامل مجتمعة تلح عليها وتجعلها تنصرف الى الاصلاح بالمقالات والخطب والاجتماعات وهذه كلها أو معظمها طريقها النثر لا الشعر بقلم ثائر يسهم فى كل فكرة تجيش بصدرها .

وكانت **ملك** تنفق كل مالها بل كانت تبيع مجوهراتها من هدايا وغيرها للانفاق على مشروعاتها الاجتماعية والانسانية مثل انشاء مدارس خاصة لتعليم التمريض ومشاغل الحياكة ، وما يلزم جرحى الحرب ... الخ .

وقد ضاع معظم شعر ملك فى بيت الزوجية ، وكانت تدونه بحسب الترتيب التاريخى وأول قصيدة لها نشرتها فى جريدة المؤيد تقول :

بشرى لمصر فقد نالت امانيها
وانجح الله بالحسنى مساعيها

ولها قصيدة ثائرة نشرتها عقب اصدار قانون المطبوعات فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠٩ الهبت بها الشعور العام وتدخلت الحكومة حينئذ فى الموقف. قالت :

يا امة نشرت منظومها الغير
حتام صبر ونار الشر تستعر
ماذا يقولون فى ضيم يراد بكم
حتى كانكم الأوتاد والحجر
ستسلبون غدا اغلى نفائسكم
حرية ضاع فى تحصيلها العمر
حرية طالما منوا بها كذبا
على بنى النيل فى الآفاق وافتخروا

وفى هذه القصيدة تبدو لنا الشاعرة الثائرة التى تأبى الظلم وتكره العبودية وتتفاعل مع الأحداث ، فالشاعر كما يقولون مرآة عصره وسجل تاريخ وطنه

وقد كانت **ملك** تعتبر عائشة التيمورية استاذتها ورائدتها ويبدو ذلك فى قصيدتها التى ترثى بها عائشة فتقول :

الا يا موت ويحك لم تراع
حقوقا للطروس وللبراع
تركت الكتب باكية بكاء
يشيب الطفل فى عهد الرضاع
ولم تهب الفضائل والمعالى
وطول السعى فى خير المساعى
تراك تجود بالأرزاء حتى
عددنا البخل من كرم الطباع
فذب يا قلب لانك فى جمود
وجد يا دمع لانك فى امتناع

الى ان تقول :

سنبقى بعد عائشة حيارى
كسرب فى الفلاة بغير راع
فيا شمس المحامد غبت عنا
وخلفت البكاء لكل ناع
ويا خير النساء بلا خلاف
وقدوتنا بلا ادنى نزاع

لقد جددت ذكر نساء مصر
وجددت العلا بعد انقطاع

وهى تقلد عائشة ايضا فى الرثاء، ففى قصيدتها التى ترثى بها حرم عبد العزيز فهمى تقول :

تعدو العوادى والخطوب تنوب
وبلاء عيش المرء كيف يطيب
حمى النفاس شيبت مهجة والد
هيهات أن يطفى لظاه نحيب
امحمد يوم الولادة سرنا
لكنه من حيث سر عصيب !

الى ان تقول :

قد نقبت فى الطب تبغى حملها
ولرب سر ضره التنقيب
لم يجد ما زعم الطبيب يريئها
هيهات ان يقضى القضاء طبيب
فبطبه سالت عليك مدامع
وبطبه شقت عليك قلوب

ومن قبلها قالت عائشة التيمورية ترثى ابنتها توحيدة :

جاء الطبيب ضحى وبشر بالشفا
ان الطبيب بطبه مغرور

فهى حين يحين الموت يغمرها بأس قاتل فتضع اللوم على الطبيب لانه لم يستطع أن يعيد الحياة الى المريض وينسى القدر وسنة الفناء .

وفى قصيدتها « الحياء » حين تقول :

ان الفتاة حديقة وحياؤها
كالماء موقوف عليه بقاؤها
بفروعها تجرى الحياة فتكتسى
حللا يروق الناظرات رواؤها
ايمانها بالله أحسن حلية
فيها فاما ضاع ضاع بهاؤها
لا خير فى حسن الفتاة وعلمها
ان كان فى غير الصلاح رضاؤها
فجمالها وقف عليها انما
للناس فيها دينها ووفاؤها

وهى هنا تقلد عائشة فى شعرها الاخلاقى اذ تقول

بيد العفاف أصون عز حجابى
وبعصمتى أسمو على اترابى

الى آخر ما فى القصيدة من مبادىء خلقية وسنن

دينية . وهى بالتالى تمثل المربية الحقيقية التى تنصح تلميذاتها بالتمسك باهداب الدين والفضيلة

ملك والكاتبة مى :

تعرفت ملك بالكاتبة مى عن طريق المراسلة بالصحف وتجاوبت روحاهما على البعد وتآلفا على غير لقاء .

تقول ملك فى صحيفة « **الجريدة** » الى باحثة البادية :

ترنمت باسمك قبل أن أعرفك واتخذت ذكرك عنوانا لنهضة المرأة المصرية قبل ان اطالع مقالاتك لأن اصوات الجمهور قد اتفقت فى الثناء عليك وعلى فضلك .. الخ

اذن **فمى** هى التى بدأت تراسل **ملك** وارادت ان تتعرف عليها ، ووجدت فى ملك صورة المرأة الذكية الحساسة التى تعيش بشعور غيرها وتريد ان تترجم عن وجدان المرأة الذى ظل حبيسا بدعوى التقاليد ، وتستمر فى النجوى على صفحات رسالتها فتقول :

ضعى يدك البارة على الايدى التى تحاول رفع هذا الجيل من هوة الحيرة والتردد، ساعدى فى تحرير المرأة بتعليمها واجباتها . ان صوتا خارجا من اعماق القلب بل من اعماق الجراح كصوتك قد يفعل فى النفوس مالا تفعله اصوات الافكار وهكذا كانت ملك شاعرة وكاتبة وخطيبة اجتماعية .

تجذبك برقتها ويملك منطقها عليك فكرك .

ولكن القدر لم يرحم كل هذه الآمال ولم يشفق على شبابها الغض .

وكانت **ملك** باعتبارها شاعرة تعيش فى كل قلب وتشارك فى كل ألم وتأسو جراح المكلومين ، فلما سمعت ان اخاها السيد / مجد الدين ناصف قد قبض عليه فى حادثة سياسية بالقاهرة وشاع انه سيقدم للمجلس العسكرى وكان ابوها مريضا حضرت لتراه للمرة الاخيرة وقد سافرت على الرغم من اوامر الطبيب اذ كانت مصابة بالحمى الاسبانيولية فتضاعف مرضها ثم فاضت روحها ووضعت الايام حدا لحياتها ،ودفنت بمقابر الامام الشافعى فى ١٧ اكتوبر عام ١٩١٨ وفارقت الاحياء ،ولكن ذكراها لم تزل ملء السمع ، ملء البصر ، ملء الفؤاد

« روحية القلينى »

« بقية المنشور على صفحة ١٧ »

الحادى عشر الميلادى ، أيام ان جاء أبو الريحان البيرونى الى الهند ، وترجم عدة رسائل سنسكريتية الى اللغة العربية ، وأخرج كتابه الضخم عن الهند ، والذى يعتبر أوسع كتاب ظهر فى اللغة العربية عن الهند وعلومها وأديانها وعاداتها ، وتقاليدها . ومما قدمته الهند للعالم العربى فى الميدان العلمى النظرى علوم الحساب الهندية ونظام الأرقام ، والكسور واستخراج الجزور التربيعية والتكعيبية . وترجم الفزارى كتاب الفلك الهندى الشهير « **براهما سدهانتا** » . وفى الطب أيضا ترجم الى العربية كثير من الكتب الطبية الهندية القديمة ، ويبدو أثرها ظاهرا فى كتب « ابن سينا » و « الرازى » ، وغيرهما ، وفى ميدان الجغرافيا، استمد علماء العرب كثيرا من المؤلفات الهندية ونظرياتها ، وفوق هذا وذاك قد كان للديانات والفلسفة الهندية بعض الأثر فى حياة بعض المفكرين العرب ، كما هو ظاهر فى فلسفة أبى العلاء المعرى وكتاباته وقصائده .

ومن ثم يمكن أن يقال بصفة عامة ان الهند بفلسفتها وعلومها ، قد ساهمت بنصيب فى النهضة الثقافية العربية وبخاصة فى أيام العباسيين ، كما ساهم العرب فى التقدم والنهوض بالهند وعلومها وفنونها فى أيام العصور الوسطى .

ان الأمر الذى نحن فى حاجة اليه الآن هو السعى المتواصل لتوسيع نطاق العلاقات الثقافية العربية الهندية ، الموطدة الأركان ، وتقوية جذورها لصالح الشعبين العظيمين وللانسانية جمعاء ..

محيى الدين الألوائى

هبة القدر لمصر وسوريا

بقلم : محمود الشرقاوى

« فى هذه الفترة الحاسمة من تاريخ الوطن العربى ، وقبلها بوقت قصير ، أهدت سوريا لشقيقتها مصر رجلين من أصلب الرجال عودا وأعظمهم توفيقا وأعمقهم اخلاصا « بدر الجمالى » ، الذى خرج من عكا ثم جاء الى مصر فأنشأ فيها وأقام وأصلح وعمر ، وقوم فسادا كاد أن يزيد ويطغى ، و « صلاح الدين الأيوبى » : بطل من أبطال الوحدة وأبطال العالم كله ورجل من رجال التاريخ » .

كانت مصر وسوريا فى عهد صلاح الدين تكونان وطنا واحدا مندمجا اندماجا تاما ، بلدا واحدا تقوم فيه وحدة متكاملة تمس شئون الحكم والسياسة والحرب والاقتصاد والثقافة وكل ما يمكن ان يجمع بين شعبين متحدين مندمجين فى دولة واحدة تحكمها يد واحدة ويسيطر على مقدراتها حاكم واحد وتوجه أمورها سياسة واحدة .

وكانت لهذا الاندماج وهذه الوحدة مقدمات سابقة ولو أنها لم تكن سعيدة ولا سارة ـ بحكم ظروف قاهرة خارجة عن ارادة شعبيهما ـ ولكن هذا الشر الذى فرضته هذه المقدمات على مصر كان سببا فى هذه الوحدة الشاملة الكاملة الموفقة .

بعد عهد المستنصر الفاطمى بدأ مجد الدولة الفاطمية ينحدر وأخذ ظلها ينحسر عن البلاد التى كانت تحكمها : مصر وسوريا والحجاز ـ وفى بعض الفترات كانت تحكم اليمن والموصل كما رأينا فى المقالات السابقة ـ وبدأ المغيرون الحاقدون من الأتراك والصليبيين تستولى جيوشهم على سواحل الشام : انطاكية سنة ٤٩١ « ١٠٩٨ م » والقدس فى السنة التالية لها ، بل طمع هؤلاء الصليبيون من حثالة الأوربيين فى الاستيلاء على مصر . ولكن الله أراد ألا يدوم هذا الشر طويلا ، حيث قوى أمر نور الدين محمود ، عم صلاح الدين ، فأخذ يطرد الصليبيين من الشام ويطهر سواحلها من جيوشهم وشرهم : بدأ باخراجهم من حصن : « ارتاح » ، شمالى حلب سنة ٥٤٢ : « ١١٤٧ م » ثم أخذ يطهر البلاد منهم شيئا فشيئا . ولم يكن فى مصر يوم ذاك رجل فى صلابة نور الدين ولا قوته ولا سداد عزمه ويمن طالعه ، فأخذ الصليبيون يغيرون على موانيها ، ودخلت جيوشهم مصر من شمالها الشرقى واستولت على « بلبيس » وأفزعت أهلها بالقتل والأسر حتى وصلت الجيوش الصليبية الى حدود القاهرة فحاصرتها ودخل بعض منها « باب الشعرية » . وكانت الدولة على ما وصفنا من التخاذل والضعف ، فأمر وزيرها : « شاور » بأن تحرق القاهرة بعد أن يهجرها الناس ، وأحرق أهل القاهرة مدينتهم بأيديهم وبقيت النار تأكلها أربعة وخمسون يوما . ـ وكان شاور هذا خائنا متواطئا مع الصليبيين ـ .

وملأ الفزع قلب الخليفة : « العاضد » ، آخر الخلفاء الفاطميين ، ولم يجد من نفسه ولا من جيشه حيلة ولا قوة ، فأرسل يستغيث بنور الدين فى سوريا وبعث مع استغاثته خصلا من شعور نسائه .

عند ذلك جهز نور الدين جيشا عظيما لنجدة مصر « سنة ٥٦٤ » : « ١١٦٨ م » وجعل على رأس

الجيش « أسد الدين شيركوه » وصلاح الدين ، ابن أخيه ، وقد قدم هذا للمرة الثالثة على جيوش ثلاثة لنجدة مصر .

***

ولم يدخل الصليبيون القاهرة ، بل انحسر مدهم وانحسم شرهم بعد ذلك عن مصر كلها ، وبقي فيها صلاح الدين ليقضي على الدولة الفاطمية المتهالكة المنهارة وليقيم بين مصر وسوريا ذلك العهد الذي وصفناه من الاندماج والوحدة والقوة ، والذي بدأ « بالاحسان لجميع العسكر الشامي »، الذي قدم معه من سوريا لنجدة مصر وتخليصها من الصليبيين ، والى « العسكر المصري » ، فأحبوه جميعا واطاعوه.

هذا الانقاذ وحده كاف لأن نصف صلاح الدين بما وصفناه : « **هبة القدر لمصر وسوريا** » .

كان صلاح الدين يقيم في مصر مفوضا من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي في دمشق ، ولكنه كان يسعى ويعمل لأمر آخر أكبر وأخطر : هو اقامة وحدة كاملة بين مصر وسوريا بعد تطهير سواحل الشام ومدنه من جيوش الصليبيين ، وان يكون هو ملكا على هذه البلاد كلها . ولم يضع وقتا ولا جهدا في سبيل أن يعمل كل عمل مثمر ، حيث أخذ في (اصلاح أحوال مصر وعمارة البلاد) وفي تجهيز جيش قوي ، في كل من مصر وسوريا ، لمحاربة الصليبيين في الشام ، بعد أن ابعد خطرهم عن القاهرة وعن مصر كلها .

وأدرك الصليبيون ذلك فارادوا أن « يتغدوا به قبل أن يتعشى بهم » فنزلوا دمياط بجيوشهم ، وأخذوا « عكا » من أهلها المسلمين . وبادر صلاح الدين من جانبه فقصد قلعتين من أمنع قلاع الشام التي كانت في يد الصليبيين ، هما «الكرك» و « الشوبك » ، فانتزعهما منهم ، وزاد في تودده الى الناس واستجلاب قلوبهم فقدم لهم : (من سحائب الافضال والانعام ما لم يؤرخ في غير تلك الأيام) كما يقول « ابن خلكان » و : (مارس في البلاد أهل الفقه والعلم والتصوف والدين ، والناس يهرعون اليه من كل صوب ويفدون عليه من كل جانب وهو لا يخيب قاصدا ولا يعدم وافدا) .

ولا نريد أن يذهب بنا الاعجاب بصلاح الدين وتقدير كفاحه لتحرير الشام وتطهيرها من الصليبيين وانقاذ بيت المقدس الى حيث ينسينا ما نحن بسبيله من الكلام عن وحدة سوريا ومصر في عهده ، ولكن لا بد لنا من الكلام عن حروبه تلك ، لأنها كانت الخطوة الأولى التي لا بد منها لقيام هذه الوحدة ، لذلك نذكرها في كل ما يمكن من الايجاز .

***

نستطيع أن نعرف الجهد الذي بذله صلاح الدين في تحرير بلاد الشام اذا عرفنا الى أي حد كان الصليبيون يسيطرون عليها ، واذا عرفنا ، تبعا لذلك ، البلاد التي استولى عليها واخرجهم منها :

فقد أخذ صلاح الدين من الغزاة الصليبيين بلاد : « طبرية » و « عكا » و « بيروت » و « عسقلان » و « غزة » و « بيت جبريل » ـ أو « جبرين » ـ و « الماطرون » و« اللاذقية » و« دربساك » ، وكانت قلعة حصينة منيعة ، وحصن « بغراس » بالقرب من « انطاكية » و « صفد ». وقد ذكرنا أنه فتح من قبل حصني « الشوبك » و « الكرك » . وكان نصره الأكبر حين أخرجهم من بيت المقدس : (... ولما رأى العدو ما نزل بهم من الأمر الذي لا مدفع لهم عنه ، وظهرت أمارات فتح المدينة وظهور المسلمين عليهم ، وكان قد اشتد روعهم لما جرى على أبطالهم ما جرى ، فاستكانوا الى طلب الأمان وسلموا المدينة) وكان ذلك ليلة المعراج التي أسرى في مثلها بالنبي عليه السلام « من المسجد الحرام الى المسجد الأقصى» فكان ذلك من أسعد الاتفاقات . وكان اليوم يوم الجمعة فاقيمت فيه صلاتها : (ونكس الصليب الذي كان على قبة الصخرة). وكان الصليبيون قد اقاموا قبل ذلك أكثر من تسعين سنة .

***

اما المعركة الفاصلة التي قضت على نفوذ الصليبيين في الشرق كله معركة « حطين » فلا أعرف أحدا من الذين قرأوا شيئا من التاريخ يجهل أمرها وقدرها . وهي التي أسر فيها الملك « جوفرى » واخوه والبرنس « ارناط » ـ وكان من أشد الأمراء الصليبيين غلظة على المسلمين وقد قتله صلاح الدين بيده ـ وغيرهم .

وكان لهـذا الفتح أثره وصـداه الذى اهتز له بالفرح الشرق الاسلامى كله ، وسجله الشعراء من أمثال : « ابن الساعاتى » و « العماد الكاتب » الذى يقول :

حططت على « حطين » قـدر ملوكهم
ولم تبق من اجنـاس كفرهم جنسا

بطون ذئاب الأرض صـارت قبورهم
ولم ترض ارض ان تكون لهم رمسا

وقـد طـاب ريانا على طبرية
فيا طيبهـا ريا ويا حسـنها مرسى

ونستطيع أن ندرك مدى القوى العسـكرية التى جمعها صـلاح الدين من مصر وسـوريا وغيرهمـا واستخدمها فى حروبه هذه اذا عرفنا ان عدد الفرسان الذين اشـتركوا فى حصار « عـكا » وحدها كان اثنى عشر الفا، وان حصاره لها دام ثلاث سنوات.

وكذلك نستطيع أن نعرف مدى القوى العسكرية التى حاربها وقهرها اذا تأملنا هذا الخبر الذى رواه صديقه وكاتب سيرته : « ابن شداد » ، فهو يقول انه سأل اميرا قائدا من الصليبيين يوم عقدوا صلحهم مع صلاح الدين ، سأله عن عدد جنودهم فقال ـ عن طريق ترجمانه الذى كان ينقـل حديثه الى صلاح الدين ـ انهم كانوا: (من خمسمائة الف الى ستمائة الف، قتل منهم أكثر من مائة ألف وغرق معظمهم).

وكان الأسطول المصرى يشترك فى هذه الحروب واستعان به صلاح الدين فى حصار « صور » على وجه خاص .

بعد هـذا النصر الذى شـارك فيه شـعبا مصر وسوريا وجيشاهما بدأت ملامح الوحدة وأوضـاعها بين البلدين تبرز وتتضح وتتمكن وتستقر ، كما أخذت تؤتى ثمراتها : كان صلاح الدين يقيم فترة فى القاهرة وفترة فى دمشق ، وكان يوزع عاطفته وحبه بينهما ، يحب دمشق ويستريح للاقامة فيها ويحبه أهلهـا حتى تلقوه ، حين دخـل عليهم لأول مرة ، (بأسرهم واحدقوا به ، فنثر عليهم الدراهم والدنانير ، ودخـل دمشق فلم يغلق فى وجهه باب ولا منعه مانع) .

أما حبه لمصر فمن أبرز مظاهره انه اقسم على أن يقتل بيده الأمير الصليبى « ارناط » لأنه قتل غدرا جماعة من المصريين فى أيام صلح ، وقد قتله بيده بعد ذلك عندما وقع فى اسره بعد معركة « حطين » كما رأينا .

وكان أبناء صلاح الدين واخوته يتولون، باسمه، حكم هـذه البلاد الموحدة ، التى ادخل فى وحدتها بعد ذلك أقطارا أخرى فكانت تشمل: مصر وسوريا واليمن وبعض بلاد العراق والحجاز .

وقد ولد بعض أبنائه هؤلاء فى القاهرة وبعضهم فى دمشق ، ومات أبوه ودفن فى القـاهرة ، ومات هو ودفن فى دمشق .

وكانت هـذه الدولة الموحدة قوة كبرى هابهـا الغرب الذى ذاق الهزيمـة والهوان من يد منشئها وقائدها وسلطانها : صلاح الدين .

وشملت هـذه الدولة الموحدة وحدة ثقافيـة لم يخف خطرها ولم تخف ضرورتها على القائد البطل، فقد محا المذهب الشيعى الرافضى من مصر وسوريا واستبدل به مذهب أهل السنة وفقه الامام الشافعى بخاصة. كما قضى على سلطان الدولة الفاطمية التى كانت تدين بهذا المذهب الشيعى . وتمكينا لهـذه الوحدة الثقافية انشأ المدارس الكثيرة التى تدرس المذهب السنى فى القـاهرة ودمشق وحلب وحمص وحماه والقدس . ولكن خطأ واحدا كبيرا وقع فيه صلاح الدين فى غمرة الحماسة التى حارب بها دولة الشـيعة ومذهبهم ، هو اعدامه أو تبديده المـكتبة العظيمة الحافلة التى كانت تتضمن ، فى القاهرة ، كتبهم واصول مذهبهم، وهى مكتبة وصفها السيوطى بانها : (ليس فى الاسلام لها نظير تشتمل على ألفى الف مجلد، منها بالخطوط المنسوبة مائة الف مجلد) وكذلك قضى صـلاح الدين على جميـع المؤسسات والآثار الفاطمية وأقفل الأزهر وظل مقفلا نحو مائة سنة .

وقد أثمرت هذه **الوحدة الثقافية** أطيب ثمراتها فى عصر صلاح الدين وأسرته وفيما بعد ذلك، وكان من أطيب ثمراتها ظهور أولئك العشرات من العلماء والمحـدثين والشـعراء والمؤرخـين فى كل من مصر وسوريا. فى هذه الفترة كان طلاب العلم وأساتذته يتنقلون بين حلب ودمشق والحجاز والقدس والقاهرة وبغـداد ودميـاط والاسـكندرية . وقل من هؤلاء العشرات من العلمـاء والألوف من الطـلاب من كان سـوريا لم يزر مصر والقـاهرة، او مصريا لم يزر دمشق وحلب .

محمود الشرقاوى

حبيبتي القمر

للشاعر أنس داود

جاوزت حد الظلم ٠٠ فابقي في مسائك ساهمه
واستنبئي الأطياف عن خفقات قلب هـائمه
عن فارس يأتي وقد شهد المساء هزائمـه
يأتي به شـوق ، فيغفر للطريق جرائمـه
هـذا المساء ترقبيه ٠٠ ملولة ، أو باسمه
ضيعي على صمت الطريق ٠٠ فلن يريك معالمه
وتحجرى لهفـانة عند النوافذ نادمـه
كل المرائى فى دروبك سوف تبدو واجمـه

❋❋❋

ثورى كما شاءت ظنون الليل حولك واغضبى
أو رقرقى دمع العيون على الوسادة واندبى
أو ذوبى الـكلمات من قلب عصى واعتبى
انا لن اعود الى المسير على طريق متعب
خطوى به صمت ، وأشواقى ضراعة مذنب
ونضارة الاحلام فى عينى ٠٠ سـوء تأدب
وحنـين عمرى كله لهوى عميق مخصب
طير مهيض الجانحين على ثراه المجـدب

❋❋❋

هذا المساء الشاعرى وراء أسرار النهـر
يهب الوجود لى الأمانى والأغـانى والفـكر
ويطل من عليائه هزج الأغـاريد القمـر
والموج ٠٠ ركب تائه الأشواق معبود السمر
كم فى اصطفاقته صدى من قبلة فوق الثغر
وتنهدات العاشقين ، وبوح اشجان الوتر
عشقته كل نجيمة ، وهفت اليه فما انتظر
وشكت اليه غدائر الصفصاف وجدا ٠٠ فاعتذر
وبكت لديه الريح ، وانتحبت وريقات الشجر

من قضايا
السرقات الأدبية

بقلم محمد نصر

صدر الحكم باعادة فارس بنى حمدان الى الجارم !

- **ظافر الصابونى خطف أفكار الجارم وباعها لصوت العرب !**
- **الأسرار الكاملة لأخطر قضية أدبية فى هذه الأيام !**



المرحوم على الجارم

انتهت معركة فارس بنى حمدان !

انتهت بانتصار ورثة المرحوم الشاعر على الجارم على الأديب الدمشقى ظافر الصابونى ، وعلى اذاعة صوت العرب لها نفس الوقت !

انتهت بصدور حكم القضاء فى الاسبوع الماضى :

- باحقية ورثة الجارم فى سلسلة « **فارس بنى حمدان** » اذاعة صوت العرب بالقاهرة .
- بصحة الحجز التحفظى على النسخة المحفوظة باذاعة صوت العرب من المسلسلة واستمرار منع اذاعتها مستقبلا منسوبة الى المدعى عليه الأول .
- بالزام المدعى عليه الأول ظافر الصابونى أن **يدفع المدعين مبلغ ثلاثمائة من الجنيهات تعويضا عن نسبة تاليف المسلسلة اليه اسما وموضوعا .. والزامه بالمصاريف ومبلغ عشرة جنيهات أتعابا للمحاماة .**

فما هى الأسرار التى تكمن وراء هذا الحكم ؟. وماذا قالت تقارير لجنة التحكيم فى القضية ؟ والى متى تسرق أفكار الآخرين وتنشر .. أو تذاع على الملأ ؟!

قضية لها تاريخ

ان قضية ورثة الجارم ضد الاذاعة والصابونى ليست بنت اليوم .. ان لها عمرا وتاريخا يرجع الى ثلاث سنوات مضت ــ أو على حد قول الدكتور **أحمد الجارم** الاستاذ المساعد بكلية طب جامعة القاهرة ، وابن المرحوم الشاعر على الجارم الى اليوم الذى كان يستمع فيه الى الاذاعة ، مصادفة وهى تقدم ــ خلال شهر كامل من عام ١٩٦١ ــ برنامجا تمثيليا من ثلاثين حلقة باسم « فارس بنى حمدان » من تاليف ظافر الصابونى .. يومها جمع اخوته وتبادل معهم الرأى فى الموقف .. انه كان يحفظ ــ عن ظهر قلب ــ اسماء أبطال التمثيلية .. يعرف التفصيلات الكاملة لتاليفها .. سمع والده يردد هذه الأسماء اكثر من مرة .. كان يساعده فى جمع اوراق الكتاب الذى يحمل اسمها واعداده للطبع وهو مايزال طالبا صغيرا .. لم يطل تفكيره أو مناقشة اخوته حول الموقف الذى ينبغى أن يقفوه صفا واحدا تجاه هذا السطو العلنى !

حيال وصايا أبيهم لهم قبل موته ان يحرصوا على تراثه من عبث العابثين .. ان ينشروا ما لم يطبع

منه .. حتى تعم فائدته ..

لقد استقر رأيهم ليلتها على أن يرفعوا قضية عاجلة ضد الاذاعة العربية ، والأديب الدمشقى ظافر الصابونى ، ويطالبون فيها بوقف اذاعة تمثيلية فارس بنى حمدان التى تذاع على حلقات من محطة صوت العرب .. واتهموا الصابونى «بلطش» كتاب والدهم على الجارم الذى أصدرته دار المعارف فى سنة ١٩٤٥ بنفس الاسم !

وتحمس ابن الجارم الأكبر **بدر الدين** لمتابعة القضية والجرى وراءها فى المحاكم مهما كلفه الأمر .. اشفاقا على وقت أخويه بوصفهما طبيبين مسئولين عن العيادة والتدريس لطلاب كليات الطب وراح بدر الدين يتردد على جميع المكتبات قديمها وحديثها ليبحث عن مؤلفات تتناول سيرة فارس بنى حمدان ـ من قريب أو بعيد ـ رجع الى آثار المؤرخين العرب .. أمضى شهرين فى دار الكتب وحدها .. قرأ جميع ما كتب عن شخصية أبى فراس المخطوط منها والمطبوع ، فلم يجد فى أى كتاب أو مخطوط أنه كان يسمى باسم فارس بنى حمدان مطلقا .. وعندما تأكد أن أحدا من المؤلفين القدامى أو المحدثين لم يسبق والده فى ابتكار الاسم رفع الدعوى العاجلة امام محكمة القاهرة .. رفعها وجميع الورثة متضامنين معه وهم د . أحمد الجارم (٣٥ سنة) ، د. فاروق الجارم (٣٠ سنة) **ثم بقية الورثة نفيسه على بدر الدين ، ونعمة على** الجارم ، وزينب الشهيرة بأميرة .

ان أبناء الجارم جميعا كانوا ينتظرون ان تذاع التمثيلية المسلسلة باسم والدهم لا باسم الصابونى .. باسم الشاعر العربى الكبير مؤلف مسرح الوليد ، والشاعر الطموح ، وسيدة القصور ، وشاعر ملك ، وخاتمة المطاف ، وغادة رشيد ، وهاتف من الأندلس ، والعرب فى أسبانيا .. وغير هذه المؤلفات الكثيرة التى تتناول أبطال التاريخ العربى بالتمجيد والتقدير ..

ولقد حكمت محكمة أول درجة بتحويل القضية الى ثلاثة من الخبراء هم : **الدكتور عبد القادر القط ، والاستاذ عبد الرحمن الشرقاوى ، والدكتور رشاد رشدى .**

كان ذلك قبل أكثر من عام تدارس فى أثنائه هؤلاء القضاة أو المحكمون كتاب الجارم ، ومسلسلة الصابونى ..



الدكتور عبد القادر القط

فماذا وجدوا ؟ وماذا قالوا فى تقريرهم الذى قدموه للمحكمة . ؟

ولسوف أقدم اليك بكل تركيز ماتضمنه هذا التقرير ، لا لأنه كان من مبررات الحكم لصالح ورثة الجارم ولكن لأنه يعتبر وثيقة أدبية تاريخية تضع النقط على الحروف .. وتجيب عن الأسئلة التى ظلت تتردد كثيرا على ألسنة الأدباء والمفكرين خلال نظر القضية :

● هل من حق أى كاتب أن يتناول شخصية عظيم من عظماء التاريخ بالكتابة بعد أن سبقه اليها مؤرخ أو كاتب آخر ؟

لقد كان على الخبراء ـ تنفيذا لحكم المحكمة فى اليوم الثانى عشر من فبراير من عام ١٩٦٣ أن يطلعوا ـ كما قلت لك ـ على قصة فارس بنى حمدان تأليف الأستاذ الجارم ، وعلى مسلسلة فارس بنى حمدان التى أذاعتها صوت العرب لبيان ما اذا كان اسم المؤلف وهو فارس بنى حمدان هو اسم تاريخى استعمل قبل أن يطلقه المرحوم الجارم على مؤلفه أم أنه يتميز بطابع ابتكارى أخذه الصابونى من المؤلف الأصلى ، وبيان ما اذا كانت المسلسلة مأخوذة من مؤلف المرحوم الجارم وتقرير قيمة ما أصاب ورثته من أضرار نتيجة ذلك .

الى التاريخ

وعلى موائد البحث وضعت امام المحكمين عدة مصادر تاريخية عن حياة ابى فراس الحمدانى (فارس بنى حمدان امثال : وفيات الأعيان لابن خلكان ، تاريخ ابن الأثير ، يتيمة الدهر للثعالبى ـ شذرات الذهب لابن العماد ، وهى من المصادر الاساسية التى اعتمد عليها كل من كتب من المعاصرين عن حياة ابى فراس ولقد سجل التقرير الذى اعد بعد تلك الدراسة العميقة حقائق مثيرة منها :

● ان ابا فراس ولد فى عام ٣٢٠ هـ ، وانه أسر فى حروب الحمدانيين مع الروم مرتين ، وانه فى المرة الثانية حمل الى القسطنطينية واقام فى الاسر اربع سنين وله فى الاسر اشعار كثيرة . وهو الذى قال فى الاسر

سيذكرنى قومى اذا جد جدهم
وفى الليلة الظلماء يفتقد البدر

وهو القائل ايضا :

ونحن اناس لا توسط بيننا
لنا الصدر دون العالمين أو القبر !

وانه قال لملك الروم حينما التقى به واراد ان يسخر منه بقوله :

ـ بكم قصيدة غزوتنا ياشاعر العرب ؟

قال له فى الحال :

ـ ايها الامبراطور لقد غزوت أرضك اربعين غزوة بالسيف لا بالقلم !

وارتجل قصيدته المشهورة التى قال فيها :

ـ أتزعم يا ضخم اللغاديد أننا
ونحن أسود الحرب لا نعرف الحربا ؟
لقد عرفتنا الحرب من قبل هذه
فكنا بها اسدا . وكنت بها كلبا !

● وانه قتل عام ٣٥٧ وفى مقتله روايتان الاولى انه حاول ان يستقل بالموصل بعد وفاة سيف الدولة فحاربه ابن سيف الدولة ابو المعالى ، ومعه قرغويه وقتل فى المعركة ، والثانيه انه تصالح مع ابى المعالى ـ وهو ابن اخت ابى فراس .. فخشى قرغويه عاقبة هذا الصلح ودبر اغتياله ..

واذن فالتفصيلات الزائدة عن هذه الحقائق التاريخية فى رواية المرحوم الاستاذ الجارم « **فارس بنى حمدان** » هى من ابتكاره بلا مراء .. وعلى ان يكون التشابه بين المسلسلة الاذاعية ، وبين الرواية فى هذه التفصيلات دليلا من ان المسلسلة قد اخذت عن رواية الاستاذ الجارم . ويمضى تقرير المحكمين ليقدم ـ بصراحة ـ حقائق أكثر اثارة :

● ان مدخل الرواية وهو من الابتكار الفنى الجارم قد اخذته المسلسلة

● وان شخصية سهم التى ابتدعها خيال الجارم بكل ابعادها نقلتها عنه المسلسلة .

● وثوب ابى فراس من على القناة دون ان يحتل حافر حصانه وهى الصورة التى مهد بها مؤلف الرواية لموقف قام حين وثب بطله من أعلى القلعة الى الفرات .. هذا التمهيد الضرورى اللازم الفنى الروائى قد أخذته المسلسلة من الرواية .

● الاستشهاد بالابيات الشاعرية فى غير مواضعها المعروفة فى التاريخ الادبى وهو من اجتهاد مؤلف الرواية اخذ عنه مؤلف المسلسلة الاذاعية .

● حديث نجلاء (وهى شخصية مبتدئة) عن ابى فراس هذا الحديث الذى هو من ابداع مؤلف الرواية نقله مؤلف المسلسلة على نحو ما جاء فى مذكرات ابناء الجارم



• الأستاذ عبد الرحمن الشرقاوى •

● المعركة التى صورها الجارم بمناسبتها وكلها من ابتكاره الفنى اخذها السيد ظافر الصابونى بكل بساطة

● الحوار الذى دار بين سيف الدولة وابى فراس حين استدعاه لحرب الروم ، واللقاء الاول مع قرغويه أخذته المسلسلة من الرواية .

● تصوير الرواية للهجوم على حصن برزويه نقلته المسلسلة

● تفصيلات القفزة التى هرب بها ابو فراس من سجنه من ابتكار مؤلف الرواية اخذها عنه مؤلف المسلسلة ٠



الدكتور رشاد رشدى

وترد اللجنة على ادعاء الصابونى بان الطبرى لم يكتب عن ابى فراس وقفزته تلك (كما يقول الصابونى) لان الطبرى ترفى قبل ان يولد ابو فراس بنحو عشرة اعوام او احد عشر عاما ٠

● مصرع ابى فراس صورة فنية ابتكرها الجارم ورسم فيها مشهدا فاجعا لموته بحضور أمه وزوجه وابنته ، وهذا المشهد أخذته المسلسلة عن الرواية ٠

● واخيرا فان قصة **الجارم** هى قصة خيالية بناها على حب خيالى واخترع شخصيات لا صلة بينها وبين التاريخ ، وصنع لها أبعادا واعماقا وسمات خاصة ، وحدد لها خطوطا وأدوارا بعينها ٠٠ وهذا كله اخذته المسلسلة ٠

وقبل ان يترك المحكمون الامر لعدالة القضاء نراهم يؤكدون مرة اخرى فى نهاية تقريرهم الخطير :

ان فارس بنى حمدان ليس اسما تاريخيا لأبى فراس الحمدانى استعمل قبل أن يطلقه الجارم على روايته ، ولكنه اسم يتميز بطابع ابتكارى اخذه المدعى عليه والمؤلف ٠

ـ ان المسلسلة ماخوذة من الرواية فعلا ، ومااخذته ليس من الحقائق التاريخية بل من الابتكارات الادبية للمرحوم على الجارم ، وهى ملكية فنية خالصة له ٠

ـ ان هذا أصاب الورثة بضرر أدبى ناجم عن اذاعة المسلسلة دون ذكر اسم مؤلف الرواية التى اخذت منها ، واما الضرر المادى فامره متروك لتقديرهم ولقد نالهم من الضرر بقدر مالحقهم من الخسارة وفاتهم من الكسب ٠

لمعلوماتك الخاصة !

ولعل من اطرف ما ينبغى ان نقف على تفصيلاته عن موقف الاديب الدمشقى الصابونى ٠٠ انه كان قد تقدم بعدة طعون ضد تقرير المحكمين يطلب فيها رفض الدعوى ، والغاء الحجز التحفظى الذى وقع على المسلسلة فى عام ١٩٦١ واعتباره كان لم يكن ، مع الزام ورثة الجارم بالمصروفات ، ومقابل اتعاب المحاماة ، وذلك على اساس انه لم يقتبس اسم الكتاب لان فارس بنى حمدان هو اسم الشهرة لابى فراس الحمدانى وهو فى نفس الوقت من الاسماء التاريخية ، وانه فضلا عن ذلك فان تقرير دراسة كتاب الجارم بالمدارس معناه جعل ما فيهمن معلومات ملكا لكل من درسه !

ولو اضيع وقتك فى تقديم مزيد من الأسانيد التى اعتمدت عليها محكمة القاهرة يوم الحكم على الصابونى والاذاعة معا فى القضية رقم ـ ٣١٠٧ ـ التى نظرتها ـ باسم الأمة ـ محكمة القاهرة الدائرة (٥٣) برئاسة الاستاذ لطفى القللى رئيس المحكمة ٠

وبعد :

رحم الله الجارم ٠٠ والهم بنيه قوة الدفاع عن اثاره ضد السطو ٠ !

واسالوا معى :

ـ الى متى يظل انتاج العقول الذكية نهبا مشاعا « لخطاف » الاذاعة او التليفزيون والى مقال آخر تكشف فيه الستار عن سرقات ادبية اخرى مازال تشغل اذهان الادباء فى عالمنا العربى !

« محمد نصر »

عن الإباضية في موكب التاريخ

بقلم محمد عبد الله السماح

عندما أهدى الى الأديب الليبى كتابه «الاباضية فى موكب التاريخ» بأجزائه الثلاثة سولت لى نفسى أن مجهودا ضخما - كهذا - يبذل من أجل فرقة اسلامية أسهمت بقدر الى جانب كل الفرق الاسلامية فى تشتيت كلمة الجماعة الاسلامية وتفتيت كيانها، واراقة دماء الألوف من المسلمين - مثل هذا المجهود الضخم من أجل الحديث عن فرقة كالاباضية، ضياع فى الوقت، واسراف فى الجهد والمال معا.

هكذا سولت لى نفسى قبل أن أقرأ من الكتاب الا عنوانه وكلمة الاهداء بالصفحة الأولى منه، وهكذا يفعل الكثير منا معاشر الكتاب، تتسرع فى اصدار الحكم وليس فى عقولنا من حيثياته شىء، وكان من الممكن أن أكتفى بهذا الحكم المتعجل وأستودع الكتاب مكتبتى، ولن أسأل عنه الا اذا احتجت اليه، لولا أن صديقا باحثا من سكان الأقاليم طلب الى أن أوافيه بهذا الكتاب، لانه سمع عنه ثناء مستطابا، فاستغفرت الله مما سولت لى نفسى، وقرأت الكتاب فازددت خجلا، فماذا يضيرنى - ومعلوماتى عن الاباضية متواضعة - لو أنى أقدمت على الكتاب فاستوعبت كل مافيه عن فرقة اسلامية أصبحت جزءا من تراث الفكر الاسلامى، وجزءا أيضا من تاريخ الاسلام السياسى، والحمد لله فقد خيب الأديب الليبى الأستاذ **على يحيى معمر** ظنى الذى قام على عجلة فى الحكم.

ان الكتاب يقع فى أكثر من خمسمائة صفحة، ويتناول فى الجزء الأول منه نشأة المذهب الاباضى، كما يتناول الجزءين الثانى والثالث الاباضية فى ليبيا، ويذكر المؤلف فى مدخل الكتاب أن مما دعاه الى كتابة هذه الفصول تلك المراهقة الفكرية التى أصيب بها بعض الكتاب الذين يملكون أن يصدروا احكاما قاطعة، ويدلوا فيها بآراء ثابتة دون حاجة الى حجة أو دليل غير أن احدهم قرأ موضوعا فى مجلة، أو رأى فقرة فى كتاب، أو استمع الى حديث عابر فى اذاعة، ولكنهم لا يملكون القدرة على قراءة أبحاث مستفيضة، لأن ذلك يكلفهم جهدا لايقوون

عليه ، وصبرا لا طاقة لهم به ، وكلافة لا تهضمها عقولهم ٠

ان معظم كتب التاريخ التى تعرضت للفرق الاسلامية يعمد الى اعتبار الاباضية احدى فرق الخوارج ، ويبذل المؤلف هنا جهدا فى ازالة هذا اللبس الذى رسخ فى الأذهان قرونا عديدة ، ويرى أن معنى الخوارج يجب أن يحدد أولا ، فبعض المؤرخين يطلق كلمة الخوارج على أولئك الذين اعتزلوا أمير المؤمنين عليا قبل التحكيم ، وهو اذن خروج عن امامة مشروعة ، وبعض المتكلمين يطلق كلمة الخوارج على الخروج من الدين استنادا الى قول الرسول : « ان ناسا من أمتى يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية » ، أما الفريق الثالث فيطلقها على المجاهدين فى سبيل الله ، استنادا الى قوله تعالى : « ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله » ٠

كما يرى المؤلف بعد ذلك أن كلمة الخوارج يجب الا تطلق الا على الصنف الثانى وهم الذين مرقوا من الدين وارتدوا فى عهد أبى بكر ، وهذا رأى الأباضية أيضا ، ثم يذكر المؤلف أن اشتراك طائفة مع غيرها فى رأى معين لا يعنى اشتراكها فى جميع الآراء ، ومن ثم لا يجوز أن تنخرط هذه الطائفة فى سلك اية طائفة أخرى تشترك معها فى رأى ، وقد تسربت الشبهة الى أولئك الذين يزعمون أن الاباضية فرقة من الخوارج لانها تشترك معهم فى انتقاد قبول التحكيم وفى تخطئة على فى قبوله ، وتوافق الاباضية والخوارج فى هذه النقطة لا يجعل الأباضية خوارج ، كما لايجعل الخوارج اباضية ، والا فالمعتزلة والأشاعرة يشتركون فى أصل تنزيه البارى ، وبعض المعتزلة والشيعة يشتركان فى نظرية حصر الخلافة فى البيت الهاشمى ، فهل معنى هذا أن كلا من المعتزلة والأشاعرة فرقة واحدة ، وكذلك المعتزلة والشيعة؟

ويشير المؤلف الى نقطة حساسة للغاية ، هى استغلال الخلافات السياسية فى العصر الاسلامى الأول فى صناعة الأحاديث النبوية الى درجة أن المهلب بن أبى صفرة كان مما حارب به الخوارج اختلاق الأحاديث عليهم ويقول : ان الحرب خدعة، وكان حى من الأزد اذا رأوا المهلب خارجا قالوا : « راح يكذب » ، والواقع أن مصيبة التاريخ للحركات الاسلامية فى القرون الثلاثة الأولى للاسلام ، هى هذه الأحاديث النبوية التى صنعت باتقان ، واستغلت أسوأ استغلال ، ولم تزل مادة خصبة للمستشرقين فى النيل من الاسلام فى كثير من مؤلفاتهم ٠

لقد قدم المؤلف فى الجزء الأول دراسات ذات طابع موضوعى ، ومن خلال هذه الدراسات الموضوعية أبرز قضايا مشكلات فكرية وحدد وضع الاباضية منها ، بعد أن قرر أن المذهب الاباضى كان أول المذاهب نشوءا ، حيث كان معلمه الأول جابر ابن زيد (٢١ ـ ٩٦ هـ) من كتاب التابعين الذين نشروا الثقافة الاسلامية فى القرن الأول الهجرى٠

كانت الاباضية ـ وعلى رأسهم جابر بن زيد ـ ترى أن الخلافة أهم مرافق الدولة ، وأعظم مظهر للأمة ، وأقوى سلطة تشرف على تنفيذ أوامر الله ، وهى بهذا الوصف لا يمكن أن تخضع لنظام وراثى، ولا أن ترتبط بجنس أو قبيلة أو أسرة أو لون ، وانما يجب أن تشترط فيها الكفاءة المطلقة : الدينية والخلقية والعملية والعقلية ٠

تعفف الاباضية عن أسواق الجدل ، وسخروا من فكرة اغلاق باب الاجتهاد ، لأنها لا تتمشى مع روح الاسلام الذى رسم الحدود وأراد من المسلمين أن ينطلقوا بمواهبهم وأفكارهم وعلومهم ، والاسلام عند الاباضية عقيدة وقول وعمل ٠

ويقرر المؤلف بعد تحديد وضع الاباضية بين

المذاهب الفكرية أن الاباضية تعتصم بالدين فى مصدريه الأساسيين : الكتاب والسنة ، وان المجتمع الاباضى كان صورة صحيحة للمجتمع المسلم النظيف طهارة فى العقيدة من الزيغ والبدعة ، وطهارة فى العمل من أدران المعصية ، وطهارة فى الخلق بالتحلى بما تحلى به الرسول ، وتخلق به المؤمنون الصادقون وفى نهاية هذا الجزء الأول من الكتاب أشار المؤلف الى التسلسل العلمى لحملة هذا المذهب ، وسلط أضواء على بعض من أئمته مثل جابر بن زيد الأزدى الذي نشأ فى البصرة وان كان عمانى الأصل ، وأبى عبيدة مسلم التلميذ الأول لجابر ، والذى تسلم قيادة المذهب بعده .

***

وفى الجزءين الاخيرين من الكتاب قدم المؤلف تحقيقا تاريخيا عن المذهب الاباضى فى ليبيا ، منذ أن انطلق سلمة بن سعد فى أوائل القرن الثانى من الهجرة الى افريقيا ونشر الدعوة ، ولم تمض عشرة أعوام حتى كان هذا المذهب مذهبا لأغلب سكان ليبيا وتونس والجزائر ، ومنذ أن انطلق مواطن ليبى من ليبيا الى البصرة ليتلقى أصول المذهب من أبى عبيدة مسلم وزملائه ، وعاد الى وطنه ليواصل رسالته . الى أن استقر المذهب فى شمالى افريقيا .

وسرد علينا المؤلف بعد ذلك كفاح الاباضية ضد الطغيان ، وكفاحها للظلم فى ليبيا ، وكشف عن كثير من الشخصيات الاسلامية التى لعبت دورا خطيرا فى الفكر والسياسة والنضال ، منهم عمرو ابن يمكتن ، من علماء النصف الاول من القرن الثانى الهجرى ، والحارث بن تليد بطل من اولئك الأبطال الذين يظهرون فجأة عند الحوادث ، وابو الخطاب عبد الأعلى ، والعباس بن أبى أيوب ، وعمروس ابن فتح المساكنى ، وأبو خليل الدركلى ، وابو ساكن عامر الشماخى ثم عبد الله بن يحيى البارونى .

ثم تحدث المؤلف عن نظم التربية والتعليم فى المجتمع الاباضى فى ليبيا ، وعن كثير من المدن والأودية والزوايا التى كانت مجالات لنشر الدعوة ، وختم البحث بمناقشة هادئة هادفة للأستاذ طاهر الزاوى الليبى فى بعض مؤلفاته ولا سيما « تاريخ الفتح العربى فى ليبيا » ، حيث عد عليه لمزات فى المذهب الاباضى كان يجب ــ كما يذكر المؤلف ــ أن يتنزه عنها قلم عالم ، وكتاب مؤرخ أمين .

الحق أن كتاب الاستاذ على يحيى معمر دراسة مشوقة ، وحسبه من التقدير أن أزال كثيرا من اللبس ظل راسخا فى أذهان المسلمين قرونا ، وقد راعى الحق والعدل فى معظم ما كتب ، وان ترجم لزهاء مائة من الأعلام المفكرين لم نزل نجهل الكثير منهم ، وان بذل بعد ذلك مجهودا فى استيعاب المراجع النادرة وغير النادرة ليبرىء ذمته وقلمه . وليكون كتابه بعد ذلك مرجعا أمينا لكل دارس وباحث وكاتب .

ولكن سؤالا يتوارد على ذهن أى مسلم يحمل لدينه ووطنه ولو ذرة من الاخلاص :

ماذا يمكن لهذه الفرق الاسلامية ومذاهبها أن تؤدى من خدمات لهذا الدين الذين يبدو شامخا ولكن على بساط من الرمال ؟

هذا الدين الذى تناوشه من ناحية الالحادية التى لا تعرف الهوادة ، والنزعة الصليبية التى تنقايا أحقادها عليه ، ومن ناحية أخرى تفريط المسلمين أنفسهم فيه وفى أوطانه المغلوب معظمها على أمره .

كنت أود ــ الى جانب هذه الدراسة الموضوعية التى أحقت حقا وأزهقت باطلا ــ أن يعرج المؤلف فى نهاية كتابه على هذه القضية الشائكة الجادة ، فيدعو الى أن الوحدة الاسلامية أحق اليوم ــ واليوم بالذات ــ بأن نمنحها كل جهودنا ، والا نضن عليها براحتنا وأوقاتنا وألسنتنا وأقلامنا .

محمد عبد الله السمان

لن أشيخ

للشاعر العوضي الوكيل

لم يدعني الشباب ان شبابي   لم يزل مل، مهجتي واهابي
يستجيش الجمال قلبي فيخضـ   ـل شعوري بوحيه الوهاب
واذا ما سألته مدد الشعر   ووحي القصيد كان جوابي
ان عمرا قضيته أشهد الحسـ   ـن مضي ما خططته في كتابي
ان عمرا قضيته بين روض   من أماني عذبة ورغابي
لخليق الا يضاف الى الـ   ـسن اذا السن عولجت بحساب
اكتهال والروح ذات وميض   اكتهال والقلب ليس بخاب

***

ما لعيني تنظران الى الد   نيا بروح الشريب عند الشراب
فتراها كغادة زفها الحسـ   ـن ، كعاب أو دون عمر الكعاب
لا يزال الربيع فيها ربيعا   باسم الروض أخضر الجلباب
والضحى رونق على صفحتيها   يستبيني بحسنه الخلاب
والحبيب الرءوم يمنح قلبي   ما القلوب ارتجت من الاحباب
بسمة لا تزول صبغتها الحسـ   ـنى وبعض البسمات في الثغر كاب
ما تمنيت من حياتي الا   راحت الأمنيات تطرق بابي
والعصافير لا تزال كما كا   نت بأغصانها وفوق الروابي
لى من بشرها نصيب يحابيـ   ـنى به دهرك الذى لايحابي

***

فلماذا أشيخ والصبح يحبو   نى بفيء من ظله مستطاب ؟
ولماذا أشيخ والفجر في عيـ   ـنى ضياء ينساب في أعصابي ؟
ولماذا أشيخ والنجم يرنو   لى في رقة وفي اعجاب ؟
أترانى اكتهلت مذ أذن الـ   ـليل الذى في سوالفي بذهاب ؟
أترانى اكتهلت لما المت   بضواحى الخمسين سعيا ركابي؟
لا وربي ما شاخ قلبي ، وان شا   خت على طيلة السنين ثيابي

العوضي الوكيل

ذكرى شوقي

للشاعر عامر محمد بحيري

« فى الرابع عشر من اكتوبر هذا العام ، يكون قد انقضى اثنان وثلاثون عاما ، على ذكرى احمد شوقي شاعر العروبة والوحدة ، ورائد المسرحية الشعرية »

راحوا الى الخلد افذاذا كما جاءوا … وهم بما صنعوا للخلد أكفاء
مضمخا بعبير الورد ذكرهم … كأنه جنة فى الخلد فيحاء
تمضى الدهور ، ولا تبلى محاسنها … رياضها بمطير الوحى خضراء
كانوا أعزاء فى الدنيا بشعرهم … وهم ، وان تركوا الدنيا ، أعزاء

***

يا ذكريات الصبى ، عودى معطرة … والوحى منهمر كالغيث معطاء
وشعر شوقى هو الاستاذ .. يتبعه … قبل أساتذة الشعر الاجلاء
صباحه صفحة بالوحى مشرقة … وليله روضة باللحن غناء
تنقل الروح من ماء الى شجر … قصيدة من عيون الشعر عصماء
شعر البطولة يدعو المؤمنين بها … مراده همة فى المجد قعساء
ينبه الشرق فى ظلماء حالكة … كأنه ليلة بالحلم بيضاء
ارهاص حق ستتلوه النبوة ، أو … تنزيل صدق ، له بالفتح امضاء
ضم العروبة من قبل الدعاة لها … اياته رسل الحق الأشداء
بينا تراه يناجى عز قرطبة … اذ هزه من روابى الشام ايحاء
يا ليته كان حيا بين اظهرنا … والعبقريون رغم الموت احياء
حتى يرى الوحدة الكبرى قد انتظمت … فيها العراق ، وآخت مصر صنعاء
فينفح الدهر شعرا لا مثيل له … له من الجيل بعد الجيل اصغاء

***

ان العروبة والفصحى يشدهما … من عهد يعرب .. افعال .. وأسماء
قومية تجمع الاوطان ، او لغة … فيها عن المجد افصاح وافضاء
لا ينهض الشعب حتى يستقيم له … من البلاغة تعبير ، وانشاء
مضى الفحول ، كبارا فى مواهبهم … اشعارهم صحف فى الدهر غراء
شوقى ! لقد كنت صدرا فى مجامعهم … تفردت قمة بالذكر علياء
لم يبق فن اصابوا منه غرته … الا وانت لذاك الفن جوزاء

***

لو أنهم عرف التمثيل جيلهم … لكان للشعر بالتمثيل اعلاء
ما زال ميدانه بيداء قاحلة … حتى جرى منك اخصاب وارواء
كشفت خافيه ، ذللت عاصيه … هل أعطت الورد قبل اليوم صحراء
نفحته بروايات مخلدة … فصولها من كتاب الدهر أجزاء
حوارها آية الفصحى ، وفكرتها … من العواطف أسرار وأهواء

دور الشعر فى التمهيد للاشتراكية

قضية الأرض ... وأغانى الكوخ

• بقلم اسماعيل الصيفى •

اهتممت فى **مقال سابق** بالدفاع عن « زعم » محدد ، هو أن الشعر قبل الثورة كان يحوى بين تياراته المتباينة تيارا من الشعر الجاد الملتزم ، وأن هذا التيار فى بعض الأحيان – كان يصدر عن شعرائه كما يفيض الماء من الينبوع ، دون وعى أو ارادة ، ولكنه – فى كل الاحايين – كان مرآة تجلو وجه مجتمع ما قبل الثورة ، بكل ما فيه من تناقضات .

هذه خطوة ، وخطوة أخرى أن واقعنا الاقتصادى والاجتماعى قبل الثورة كان يطبع على النفوس بالقلق ، ويشحن القلوب بالسخط ، ويفعم الوجدان الاجتماعى للأمة بمشاعر التبرم والضيق ، ومن ثم فقد كانت الاشتراكية هى الموئل الوحيد لهذه الجماهير القلقة الساخطة ، المتبرمة الضائقة .

وليس معنى هذا أن الاشتراكية – كنظام ، وكبرنامج اصلاحى – كانت فى متناول وعى الجماهير .. كلا .

لقد تحركت الاشتراكية فى مستويين متفاوتين قبل ثورة يوليو العظيمة هما مستوى الحس ، ومستوى الوعى ، فعلى مستوى الحس كان الناس – كل الناس – فوق الأرض العربية يحسون احساسا يعمق فى النفس حتى يبلغ قرارتها ، ويمتد فيها حتى يمتلك جميع أقطارها .. يحسون هذا الاحساس العميق الشامل بحاجتهم الى واقع آخر ، واقع لا يقر ذلك الظلم الاجتماعى الصارخ الذى كان سائدا بين أبناء الأمة الواحدة ، ولا يقسم الناس الى طبقات : بعضها كادح مقهور مستذل ، وبعضها مالك ممتص مستغل .

كانوا يحسون بحاجتهم – وما كان أشد حاجتهم – الى واقع يدفع عن أسرهم غائلة الجوع والعرى ، ويرفع عن كواهلهم عبء انتظار مصير مظلم أليم .

وكانت أحلام اليقظة بمنزلة الأجنحة الكبيرة التى تحمل الجماهير الى ذلك الواقع المثالى المنشود ، وكانت قصص الأبطال الشعبيين اذ يعزفها شاعر « الربابة » على المقاهى ، أو يغنيها « الأدباتية والشحاذون » فى الطرقات ، أو يتغنى بها صاحب الموال فى الحقول والأفراح .. هى المتنفس الذى يخفف عن الناس بعض مايجدون من ضيق بالظلم ، أو من رغبة فى الثورة عليه ثم كان الدين بمعناه الساذج المحرف قد شرع يمنح هذه النفوس أمانا روحيا انتهى بها الى الرضا بالواقع ، وتفويض الأمر الى الله ، حتى استغل هذه الظاهرة أعداء الدين فقالوا : « ان الدين أفيون الشعوب » .

هكذا كانت الاشتراكية فى مستوى الحس ، اما مستوى الوعى بها كحل منشود ، ومطلب مقصود فما أقل من كان يرى ذلك ، على انها كانت تبدو عند الكثيرين كذكريات تاريخية مجيدة ، لعهود اسلامية بعيدة ، وقد قضت الظروف – فى وهمهم – بعدم امكان اعادة ما كان ، وكانت تبدو – من خارج نطاق تراثنا الحضارى الاسلامى – كثائرات محظورة بالشيوعية والاشتراكيات الأخرى .

ولم يتح للاشتراكية التي أفعمت وجدان الجماهير ، وملأت احساسهم والتي لامست عقولهم .. فرصة الاتضاح والمنهجية والتطبيق الا بقيام ثورة ٢٣ يوليو العظيمة ، التي جعلت من مبادئها الستة القضاء على الاقطاع والاحتكار ، والراسمالية المستغلة ، واقامة مجتمع ترفرف عليه راية العدالة الاجتماعية .

وفي الصميم من مستوى الحس الاشتراكي ، وعلى حافة مستوى الوعي بالاشتراكية أخصبت شاعرية كثير من الشعراء ، فجادت بانتاج وفير وقيم استطاع تصوير الوجه الحق لمجتمعنا المتفسخ قبل الثورة ، ثم استطاع أن يسهم في خلق التطلع والاستشراف للثورة ، بل واستطاع أن يضع أضواء على الطريق بالقدر الذي أتيح له في هذه الظلمات .

والبحث في هذا الشعر لا يحتاج الى تبرير فيما أتصور ، فانه ضرورة لها من الدواعي ما يحفزنا الى التوفر عليه والاحتشاد له ، وحسبنا في هذا المقام أن نقرر بالبحث في هذا الشعر ، نعطي للثورة أمجد حقوقها علينا ، اذ نبين أنها نتيجة محتومة لظروف سبقتها ، ومهدت لها ، وان في ذلك ربطا للظاهرة الثورية بالواقع .. لا بمعناه الاقتصادي والاجتماعي وحدهما ـ وغير ممكن ان يكونا وحدهما ـ بل بمعناه النفسي والوجداني أيضا ، وهذا الواقع الوجداني الذي تهيأ للقاء الثورة الاشتراكية بحفاوة وترحاب صادقين عميقين .. هذا الواقع لا تستطيع رصده ، وتبين أبعاده الا في ضوء فنون تلك الحقبة بعامة ، وشعرها بخاصة .

وفي شعر تلك الحقبة التي يحدها بدءا مطلع القرن العشرين أدير العدسة من زوايا متعددة لأنقل للوجدان المصري العربي قبل الثورة صورة كاملة ، وفي اعتقادي أن البحث الصحيح في تاريخ الفن والأدب لدى أمة من الأمم بحث في سيرة الوجدان والنفس عند تلك الأمة ، وبحث في كل ما يتصل بالوجدان والنفس من شكوى وحرمان ، ومن تطلعات وآمال .

لقد برز في الشعر الذي سبق الثورة تيار له خطورته القصوى ، وبرغم ذلك لم يلتفت اليه من يشتغلون بالتاريخ للأدب المعاصر ، واعني به ذلك الشعر الذي استهدف تصوير القرية ، وعاش في حدودها : يقدم الينا الفلاح بشقائه وبلائه ، والكوخ بضآلته وهوانه ، الأرض تروى بعرق الجباه ويقدم لنا المالك بجشعه وتجبره ، والقصر بشموخه وتكبره ، والخزائن تملأ بأرزاق الكادحين .

وهناك تآزر رائع ، وتلاق عجيب بين « الحس الاشتراكي » الذي صدر عنه هذا التيار من الشعر وبين « الوعي الاشتراكي » الذي صدرت عنه ثورة يوليو العظيمة ، واجلى مظاهر هذا التآزر وذلك التلاقي ان « قضية الأرض » كانت محور المعاني والصور في هذا الشعر ، كما كانت ـ أيضا ـ محور أهم القوانين الاشتراكية واخطرها حتى عام ١٩٦١ ، أعني قوانين الاصلاح الزراعي .

وفي معرض « قضية الأرض » نتناول بحفاوة وتقدير هذا العمل الشعري السامق .. ديوان «اغاني الكوخ» للأستاذ «**محمود حسن اسماعيل**» .

لقد أصدر الشاعر ديوانه وهو طالب في دار العلوم ، ولكنه برغم ذلك ذو قيمة في ميزان الفن كعمل ناضج مكتمل ، وفي ميزان التاريخ كوثيقة ترجمت عن ضياع الفلاح ، وأعجب ما يميز هذا الديوان هو الوعي بالقضية ويبدو ذلك في التزامه لها ، ثم في دعوته الشعراء لمشاركته الاهتمام بها .

« الكوخ » هي أول قصائد الديوان ، ويبدؤها الشاعر ببكاء على الكوخ واستبكاء عليه

بعثر عليه الدمع ما صفقت

في قلبك الألحان يا شاعر

ويمضي الشاعر ، فيصور الأحلام الضائعة التي يحلم بها الناس في الأكواخ ،

تحلم ان الكوخ في جنة
يزهو عليها السندس العاطر

ثم يستنفر الشعراء جميعا الى مشاركته التعبير :

تبكي سواقي الحقل اشجانه
وما بكاها مرة شاعر
والبائس الفلاح في ركنه
عريان يشكو ضنكه خاسر

هذا الشاعر اذن داعية ، وان أصداء دعوته لتتردد في الديوان ، على نحو مباشر حينا ، وغير مباشر حينا آخر ، فمن الصدى المباشر ماتجده في قصيدة «زهرة القطن» ، انه يبدؤها بوصف للزهرة يخيل لنا معه أن جمالها قد استغرق كل مشاعره ، ولم يعد يحفل الا بجمالها المطلق ، ولكنه يفعل ذلك ليفرغ آخر الأمر للقضية التي في هذا الديوان ٠٠ قضية الأرض :

ذاك تاج النيل فاندب عنده

امل الفلاح والجهد المضاع

وارث للمسكين عيشا اسودا

ران في كوخ حقير متداع

نامت النعمة عنه ، وجفت

معدما لم يرعه في مصر راع

عفرت ريح الأسى كسرته

وطوت نعماه دنيا الصراع

ثم يربط بين هذا البؤس وذلك الأسى وبين نعيم القصر وسعادته ربطا كان حريا أن يثير ثورة ، والا فهو مدخر لساعة الصفر :

رقص القصر على اكتافه

وهو جاث بين ذل واقتناع

فبالرغم من أن وضع كلمة « القصر » في هذه القصيدة مقابلة للكوخ يجعلها تعبيرا عن الأغنياء فان لهذه اللفظة ايحاء آخر ، لأنها تستحضر « الملك » في مخيلة القارىء ، وسواء أراد الشاعر المعنيين بكلمته أو أراد أحدهما فهذه خطوة موفقة على الطريق ، والى نفس الغاية ٠

ومن الصدى غير المباشر قصيدة « دمعة بغي » التي تصور مأساة فتاة ريفية وفدت المدينة ترتزق، فباعت مالا يباع في سبيل لقمتها ، ولنسمعها تحكي طرفا من المأساة :

عصفت بي الأرزاق في بلدي

فتركته ٠٠ واحسرتا وطني

كوخي الجميل ، وملعبي ، وردي

ومراحي المحبوب ، وأحزاني

ونزلت في بلد شهدت به

قدس الحجاب ممزق الستر

مشت الفضيلة في مواكبه

مشى الذليل بربقة الأسر

ولعل العيب الواضح في الرباعية الثانية من الرباعيتين السابقتين ماتمتاز به من خيال شعري رائع حيث يصور الفضيلة تسير في مواكب المدينة وقد ذلت وهانت ، كما يمشي ذليل اسير ، فهذا الخيال بما فيه من سمو ومن تشخيص لمعنى الفضيلة يمزق الحدود الواقعية لشخصية الريفية ، اذ ان الشاعر قد ارتقى بالريفية وجعلها تتصور الفضيلة من مستوى تصوره هو لها ، والذي يبرز هذا العيب أن القصيدة جاءت في صورة اعترافات بغي ، ولكن برغم ذلك فان الاطار القصصي ، وطابع الاعتراف الذي اختاره الشاعر — على سذاجته — يجعل لكل عنصر من عناصره قيمة ايحائية كبيرة ، فمن خلال اعتراف الفتاة يثبت في وجداننا معنى خطير ، هو أن الريف مدقع فقير ، تعصف البؤسى بساكنيه ، فتضطرهم الى الرحيل عنه طلبا للقوت في المدينة ، وأن المدينة تستقبلهم بترحاب فاجر لايقيم للاخلاق الكريمة وزنا ٠

ويأبى الشاعر الذي اعتنق هذه القضية، والتزمها في ديوانه الا أن يعبر عنها نثرا في « كلمة ختام » التي يذيل بها الديوان ، انه يقول فيها : « اضرب بقدميك في ليلة ٠٠٠ بين تلك الاكواخ المتداعية في قرى مصر ، وحدثنا عما تلاقيه من أهوال الظلام ٠٠ في عصر كاد يفترش فيه المدني الشعاع ٠٠ واجلس بجانب (الفلاح) في الظهيرة تحت ظل الخيمة التي نصبها من ردائه على عصاه وفأسه ، وقاسمه الطعام والشراب ، وتعال فحدثنا كيف اكل وكيف شرب ؟ وهل تردد عشرين في احتساء الماء المقطر من كوب بلوري شفيف ، أم انبطح على بطنه فعب الماء من مشربه العكر ؟ وقام الى فأسه فواصل العمل لا يستريح ، ولا يعرف طعم الهدوء ؟ » ٠

« **اسماعيل الصيفي** »

عودة الزمن

ميخائيل نعيمة

في عيد ميلاده الخامس والسبعين

بقلم عبد الفتاح محمود الدرجي

عزيزنا ميخائيل كحل الله بصيرتك بنور محبته وغمر أيامك كلها بالسعادة والهناء .

لست أقصد برسالتى ان أخلع عليك من الالقاب الرنانة ما يستعمله كتاب اليوم فى مناسبات التكريم . فانا ادرى الناس بكراهيتك لذلك فليس فى قاموسك امير للشعر ولا عملاق للادب ولست تكره شيئا كراهيتك المجاملات ، واعلم كذلك انك لاتهمك شهرة او اطراء فهى شهوة دستها ياميخائيل تحت نعليك فلم تعد تطرب للفظة غمست بمعسول الاطراء والمدح او بمداد الحقد والذم . فشهرة الكاتب فى نظرك ليست الا ظل قامته الادبية ، وان الاديب الصادق لا يهتم بما يقوله الناس فيه قدر اهتمامه بما يقوله وجدانه لوجدانه وانه متى اخلص لنفسه ولادبه لا يضيق صدره الذم ولا ينتفخ المدح .

وضعت ذلك كله امام عينى وانا اكتب لك هذه الرسالة وجعلت كل همى ان استرجع معك لقطة سريعة من« **كتاب ايامك** » لست أقصد ما فى هذه الايام من لحظات افراح وسعادة او ساعات احزان وشقاء فعمر الانسان خليط من هذا كله ولكنى سأركز جهدى على صفحة بعينها لولاها لما كان فى دنيا الأدب — ميخائيل نعيمه — تاركا لغيرى من زملائك ومحبيك أن يتناولوا بقية الصفحات وهى غنية بما فيها من كفاح للوصول الى الحق ومجد القلم .

أما الصفحة فهى ليلة العشرين من نيسان عام ١٩٢٠ وفى حجرة بأعلى بناية قديمة فى بوسطن بالولايات المتحدة الامريكية اجتمع عشرة رجال الفت بين قلوبهم الغربة وجمعتهم وحدة الهدف والشعور

وبعد ان انفض اجتماعهم خرجوا وفى يدهم المعاول التى حطمت الصنم الذى كان ادباء العربية يسبحون بحمده ويحرقون تحت اقدامه البخور . فى تلك الليلة ولدت « الرابطة القلمية » اعظم ثورة عرفها الادب العربى الحديث . هل تذكر مادار فى تلك الليلة ؟ ان الكلمات محفورة فى قلبك وعقلك فاروها ياميخائيل :

« لاننا لم نجد اكثر من عشرة رجال تقاربت اذواقهم وتآلفت ارواحهم وانتفى التحاسد من قلوبهم فقد اكتفينا بهم وأولئك العشرة مرتبين حسب السن هم : رشيد أيوب ، ندره حداد ، جبران خليل جبران ، وليام كاتسفليس ، وديع باحوط ، الياس عطا الله ، نسيب عريضة ، ميخائيل نعيمه ، ايليا أبو ماضى ،

عبد المسيح حداد . والعشرة اختاروا جبران عميدا واختاروني مستشارا وكلفوني بوضع دستور الرابطة فوضعته ومهدت له بكلمة بينت فيها اهداف الرابطة وهذا بعض ما جاء فيها :

« ليس كل ما سطر على قرطاس بمداد ادبا ، ولا كل من حرر مقالا او نظم قصيدة موزونة بالاديب، فالادب الذي نعتبره هو الذي يستمد غذاءه من تربة الحياة ونورها وهوائها فاذا ما عملنا على تنشيط الروح الادبية الجديدة فلا نقصد قطع كل علاقة مع الاقدمين فبينهم من فطاحل الشعراء والمفكرين من ستبقى آثارهم مصدر الهام الكثيرين غدا وبعد غد . الا أننا لسنا نرى في تقليدهم سوى الموت لآدابنا ، لذلك فان المحافظة على كياننا الادبي تضطرنا للانصراف عنهم الى حاجات يومنا ومطالب غدنا ، وحاجات يومنا ليست كحاجات امسنا . »

بهذه الروح قامت الرابطة القلمية وبهذه الروح انتشرت مبادئها وجنى ابناء هذا الجيل ثمارها الطيبة فما أحوجنا الآن وما أحوج شعراءنا المحدثين خاصة الى مثل هذه الروح فنحن امام تيارات ادبية جديدة كانت تبشر بالخير لولا أن استشرت فيها روح الخلافات والاحقاد الى الحد الذي جعل شعار المختلفين التشاتم والتنابز بالالقاب ناسين في غمرة انفعالاتهم أن الزمن ابو النقاد جميعا وأنه لا يحتفظ في سجلاته الا بما هو الحق والصدق .

ان كلماتك ياميخائيل مازال يحفظها كل من يتصدى لحرفة القلم ، انها لشموع اضأتها ومازالت على الطريق منيرة للسالكين .

لقد كنت تعرف دائما قيمة القلم الصادق ، الذي لاينافق ولا يداهن ولايتملق ، القلم الذي يعرف قيمة الحرف فلا يمتهنها ويعرف جمال اللون والرنة والمعنى في كلمة فلا يفحش بها ، ويعرف ان للقلب أوتاره وللفكر أوتاره وهذه ما لم تكن موقعة احسن التوقيع ، وبيد فنان مخلص لفنه كان كل ما يصدر عنها نشازا في نشاز .

واليوم وبعد خمسة وسبعين عاما على ميلادك — اذا كان دور الرابطة القلمية قد انتهى — كما قلت — بعد ان نقلته الى ديار العرب وبعد ان خلقت له جنودا في كل قطر عربي فابناء العربية لا ينكرون لك هذا الكفاح ، بل ان حروف كلماتك مازالت في قلوب هؤلاء الجنود وكأنها شعلة من النور يتوارثونها جيلا بعد جيل .

ولعلي — انا الزمن — اكون قد وفقت في نقل صفحة واحدة من روائع صفحات ايام الكاتب الذي عرف نفسه على حقيقتها فعرف كيف يكتب للناس فكان كاتبا وشاعرا وفيلسوفا اتخذ من القلم السلاح الوحيد في الحرب على الجمود والجهل وفي الدفاع عن حرية الابداع وعن جمال الحق والحياة .

عزيزنا ميخائيل تحية من الاعماق في عامك الخامس والسبعين ودعوات ترفعها الى السماء قلوب الآلاف التي احبتك والتي سكبت فيها قطرات من نبعك الصافي فكانت الخميرة الطيبة التي لاتزال تعمل عملها الخير حتى اليوم ، واسعد مع قرائك ومحبيك ،،،

عبد الفتاح محمود الدربي





بين جاليليو والحسن بن الهيثم

بقلم احمد سعيد الدمرداش

تمهيد :

« اقسم ، أنا جاليليو جاليلي ، ابن المرحـــــوم فنستر جاليلي الفلورنسي ، وأنا أبلغ من العمر سبعين عاما ، وأنا اركع امامكم لتحاكمونني ، ايهـــا الكاردينالات المبجلين ، القائمين على التحقيق باسم الكنيسة العامة للقضاء على الهرطقة والمروق ، وأنا اضع امام عيني الكتاب المقدس والمســه بيدى ، اقسم أنني آمنت دائما وانني سأومن فى المستقبل، بمعونة الله ، بكل كلمة جاءت فى الكتاب المقدس ، وبكل تعاليم كنيسة روما ، ولما كان المجمع المقدس قد طلب الى أن أتخلى عن الفكرة الخاطئة القائلة بان الشمس تقع فى المركز ولا تتحرك ، ولما كان قدحرم على ان أومن بهذه الفكرة الخاطئة ، أو أدافع عنها ، أو أقوم بتعليمها ٠٠ فانني على استعداد أن انزع من اذهانكم ، ومن ذهن كل مسيحى كاثوليكى ، هذا الشك العنيف الذى راودكم بحق من جهتى ، وانني بناء على ذلك ، وبقلب مخلص ، وايمان راسخ ، ألعن وأحقر هذه الأخطاء والزندقة ، وكافة الأخطاء والآراء المضادة لما تقوله الكنيسة المقدسة ، واقسم انني لن اذكر فى المستقبل ، كتابة او شفاهية ، ما من شأنه أن يثير الشك ضدى ، بل اقسم انه ما أن يصل الى علمي شيء بخصوص أى شخص يؤمن بهذه الهرطقة ، أو يشك في ايمانه ، فانني سأحيط المجمع المقدس أو المحقق فى مكان وجودى ، علما بما وصل الى ، واقسم علاوة على ذلك٠ انني سأحقق كافة الالتزامات ، التى وضعها المجمع المقدس أو سيضعها على كاهلى ٠ فاذا حدث أننى خرقت عهودى، وتعهداتى ، او حنثت فى قسمى (وليجنبنى الله ذلك) ، فانني أعرض نفسى لكل الآلام ، والعقوبات التى قررتها الكنيسة المقدسة ضد الملحدين ومن شاكلهم ، فليعاونني الله ، وليعاونني الكتاب المقدس ، الذى المسه بيدى ، وانا ، جاليليو جاليلي ، أقسم واتعهد ، واقرر امام الشهود انني كتبت هذا بمحض ارادتى وانني قد تلوته كلمة اثر كلمة » .



جاليليو جاليلى
١٥٦٤ - ١٦٤٢

تلك هى وثيقة التوبة التى تلاها جاليليو جاثيا فى ٢٢ يونيو عام ١٦٣٣ ميلادية ، امام الكرادلة الذين يحاكمونه ، وسط جمع غفير من الجماهير ، وتحت

منصة القضاء، آلات التعذيب، وهي تتكون من اقماع جلدية كبيرة، توضع في الفم ويصب فيها ماء كثير، حتى تنتفخ الأمعاء وتكاد تنفجر، وأحذية من الحديد تضغط على القدم بشكل آلي لتسحق عظامه، وغير ذلك من أنواع التعذيب الأخرى، فآثر جاليليو السلامة.

لم يصمد ليدافع عن آرائه العلمية كما فعل سقراط أمام جلاديه، وآثر الموت متجرعا السم بيده، ولا كما فعل جواردانو بردنو (١٥٤٨ ـ ١٦٠٠) استاذه في العلوم والطبيعيات الذى أصر على معتقداته فأحرقوه حيا في أحد ميادين روما.

ولا كما فعل الامام ابن حنبل في محنة خلق القرآن.

لقد كانت الديانة الكاثوليكية تقوم على عناصر ثلاثة:

الايمان، والعقيدة، والسلطة، حتى اذا جاءت البروتستانتينية وسعت الى اعادة المسيحية في نقائها البدائي، ألغت السلطة باعتبار أنها مبدأ مادي وسياسي بحت، ولكنها تركت العقيدة قائمة، أعلن هذا مارتن لوثر وكلفن، وقد حان الوقت أن تترك العقيدة ذاتها تهوى عندما نما الفكر العلمي واشتد ساعده في القرنين .. السادس عشر والسابع عشر، اذ كيف تمسكت الكنيسة على ثورة كوبرنيق القائلة بأن الشمس هي مركز الكون وأن الأرض تدور حولها، وكيف تمسكت على فكرة الواحدية والتطورية من جهة الموجود واحد، وجميع الموجودات ذات طبيعة واحدة أساسها الجوهر الفرد، وليس الخلاف بينها الا في الدرجة، أي كميا.

ومن جهة أخرى ليس الموجود لا متحركا، بل فيه مبدأ التغير، هذا التغير الذى يعد في ذاته ميكانيكيا بحتا، وخاضعا لقوانين ثابتة، هو أصل تعدد الموجودات واختلافها، والتي تعد بدورها حادثة عن خلق طبيعي خالص، من مشارف هذه الفلسفة التي استمدها علماء النهضة في أوروبا من روح الحضارة الاسلامية، اصبح على العلم مسئولية البحث في المسائل التي تختص بالعقيدة، فلن يبقى للكثلكة اذن سوى الايمان، وهذا ما حدا بها الى العنف مع رجال الفكر العلمي أمثال برونو وجاليليو.

الآثار العلمية لجاليليو:

يضفي كثير من الكتاب على جاليليو لقب «ابو العلم الحديث»، ويقول البعض أن جل ما حققه في ميدان العلم ترجع أصوله الى نهاية العصور الوسطى، ومن ثم فانه يعتبر شخصية انتقالية، احدى قدميه في الماضي بينما الأخرى تمتد الى المستقبل، وسوف نتناول هنا ثلاثة جوانب من علم الميكانيكا الذى يزعم مؤرخو العلم من الاجانب انه اول من غير مفاهيمه من الحالة الاستاتيكية كما وضعها ارسطو، الى الحالة الكينماتيكية، والثلاثة جوانب التي درسها جاليليو هي:

(أ) قانون الأجسام الساقطة.

(ب) قاعدة القصور الذاتي.

(حـ) تحليل وتركيب الحركات المستقلة.

يقول أرسطو: ان سرعة الجسم الساقط تتوقف على مقاومة الوسط الذى يسقط فيه الجسم، فقطعة من حجر مثلا، سوف تسقط في الهواء بأسرع مما تسقط في الماء، وقال كذلك انه اذا سقط جسمان في وسط مقاوم مثل الهواء، فان سرعة كل منهما ستتوقف على وزنه.

وجاء جاليليو بتجربته المشهورة من أعلى برج «بيزا»، وأبطل هذا الرأى، نحن نبطله امام أعين طلبة المدارس الثانوية في الوقت الحاضر، بتجربة بسيطة، نجعل فيها أجساما مختلفة، بعضها من الورق أو أرياش الطيور، وبعضها من الحديد أو الرصاص تتساقط في أنبوبة طويلة من الزجاج مفرغة من الهواء، فنشاهد فعلا أنها تساقط بسرعة واحدة.

بيد أن تساقط الأجسام بسرعة واحدة لولا مقاومة الهواء لم يكن سرا غامضا خفيا عن أذهان الحكماء الأولين، فهذا الفيلسوف العراقي «أبو البركات هبة الله بن ملكا» المتوفى عام ١١٥١ ميلادية يقول في كتابه المعتبر بلفظه:

«وايضا لو تحركت الأجسام في الخلاء لتساوت حركة الثقيل والخفيف والكبير والصغير والمخروط المتحرك على رأسه الحاد، والمخروط المتحرك على قاعدته الواسعة في السرعة والبطء، لأنها انما تختلف في الملأ بهذه الأشياء خرقها لما تخرقه من المقاوم المخروق، كالماء والهواء وغيره.

أما ابن سينا فيقول:

«وأما ما يعترى الاجسام الصغيرة مثل الخردلة ومثل التبنة، ومثل نحاتة الخشب، من أنها لا تنفذ عند الرمي في الهواء نفوذ الثقيل، فليس السبب فيه أن الأثقل أقبل للرمي والجر، بل لأن بعض هذه لصغرها لا تقبل من الدافع قوة محركة لها،

ولما يليها تبلغ من شدتها أنها تقدر بها على خرق الهواء ، ومع ذلك فتكون « أى قوة حركتها » سريعة الاستحالة الى البطلان من السبب الذى يعرف فى موضعه » .

وتدلنا أبحاث العلماء العرب أمثال ابن رشد وابو البركات ،انهم قد ادركوا المعنيين الآتيين ادراكا لا وجه للتشكك فيه :

١ ـ ان الجسم الذى يلازمه سبب حركته ، تزداد حركته على التواصل لولا مقاومة الوسط ، سواء أكانت الحركة طبيعية أم قسرية .

٢ ـ ان الجسم الذى يفارقه سبب حركته يظل مستمرا فى الحركة التى استفادها من القاسر ، لولا مقاومة الوسط من ناحية ، ولولا سبب حركة طبيعية فيه الى جهة خاصة من ناحية أخرى .

والمفهوم الثانى فيه معنى للتصور الذاتى الذى وضعه نيوتن ضمن قوانينه بعد ذلك بأكثر من قرن بعد وفاة جاليليو ، مفرقا بين كتلة الجسم ووزنه .

ويرى جاليليو أن هذه المفاهيم يمكن التعبير عنها بلغة رياضية ، فكان يقول دائما بأن الرياضيات هى لغة الحركة ، وأن التغير يمكن تحديده رياضيا بطريقة تعبر عن عموميته وحتميته ، كما تعبر أيضا عن شموله كيفا وكما ، بحيث يمكن تطبيقه على عالم الواقع .

لقد اعتبر جاليليو احتمالين فى حالة الحركة ذات العجلة المنتظمة التى بدأت من حالة السكون :

(أ) أن السرعة تتناسب مع مسافة السقوط .

(ب) أنها تتناسب مع فترة السقوط .

أدى به الاحتمال الأول الى تناقض ظاهر ، ومن ثم فقد قبل الاحتمال الثانى ، وهو القانون المعروف الآن ، والذى يقول بأن السرعة تساوى العجلة مضروبة فى الزمن : س = ع × ن .

ثم استخدم بعد ذلك البرهان المعروف الذى يقول بأن الجسم ذا العجلة المنتظمة يتحرك خلال مسافة ف فى فترة من الزمن ن تساوى المسافة التى يتحركها خلال نفس الزمن لو أنه سار بمتوسط السرعة ، وتوصل من ذلك الى قانون مماثل للقانون التالى : ف = ½ ع ن ٢

كان جاليليو يتصور الظروف التى توجد فى حالة معينة ، ويضع لها الصيغ الرياضية بأسلوب عصره ، ثم يستخلص النتائج المعقولة ، وأخيرا يلجأ الى اختبار سريع للتأكد من نتيجته اذا كان الأمر فى حاجة الى اختبار ، فكان اختباره التجريبى فى هذه الحالة يعتمد على كور من النحاس تتدحرج فى مجرى معين ، كان يقيس الزمن الذى تستغرقه الكرة فى قطع مسافة معينة على سطح مائل بدرجة أو بأخرى، ووجد خلال « تجارب كررها حوالى مائة مرة » أن الأزمنة تتفق مع القانون مع فروق « لا تستحق الذكر » .

وكم كان متمسكا بفكرته هذه حتى قبل بدء التجارب ولا يعنيه من أمر هذه الفروق ، والواقع ان الطريقة البدائية التى أجرى بها تجاربه لا يمكن أن تصل الى قانون دقيق ، وهذا يؤيد آراء الأب مارسين الذى عاصر جاليليو ، فهو يقول ان هذه الفروق كانت كبيرة لدرجة أنه لم يتمكن من اعادة تجارب جاليليو ، وهو يشك فى ان جاليليو قام بهذه التجارب على الاطلاق .

حلل جاليليو حركة الكرة على السطح المائل الى عنصرين : حركة أفقية وحركة راسية ووصل الى ان الحركة الأفقية تظل ثابتة ، وعلل لماذا يسقط الحجر الساقط من قمة الصارى فى مركب متحرك عند قاعدة الصارى بالرغم من حركة المركب ، لقد أشار الى أن الحجر كان يشترك مع المركب فى الحركة الى الأمام قبل أن يبدأ فى السقوط ، وأن هذه الحركة الى الامام تظل تلازمه أثناء سقوطه ، ذلك أن الحركه الى أمام والحركة الى أسفل نوعان مستقلان من الحركة .

الحسن بن الهيثم يسبق جاليليو فى قوانين الحركة

يعتقد كتاب الفرنجة أن تحليل جاليليو للحركة قد تضمن كشفا جديدا آخر هو قاعدة التصور ، انه لم يذكر هذه القاعدة بشكل ملحوظ ، الا أنه استخدمها فى فروضه الخاصة بحركة القذائف النظرية ، القائلة بأن الجسم سيظل فى حالة حركة منتظمة فى خط مستقيم ما لم تؤثر عليه قوة خارجية .. كان هذا فى المدة مابين (١٥٨٩ ـ ١٥٩١) عندما كان يعمل محاضرا فى جامعة بيزا .

هذا ما يقوله كتاب الغرب ، ولحسن حظ ابن الهيثم أنه وجد من يفتش عن تراثه فى الحركة، وهو الاستاذ الكبير مصطفى نظيف الحائز لجائزة الدولة فى العلوم ، فقد دلنا بعد بحث دقيق على

ان هذا العالم العربى كان أول من حلل الحركة الى « قسطين » متعامدين فى مستوى « خط الحركة » والعمود عليه .

فمثلا اعتبر ابن الهيثم تجربة كرة صغيرة من الحديد ألقيت من عل فوق لوح أفقى فوجد أن المسافات التى ترجع عليها تكون بحسب الارتفاع الذى تلقى منه ، وأنها اذا ألقيت من ارتفاع واحد على أجسام مختلفة كانت تلك المسافات بحسب ما سماه « ممانعة » هذه الأجسام .

نفس فكرة التجارب باستخدام الكور هى نفس الفكرة التى اعتمد عليها جاليليو .

واعتبر ابن الهيثم اعتماد المتحرك عن ملاقاته الساكن يتحلل الى « قسطين » متعامدين احدهما فى اتجاه العمود ، والآخر فى المماس من نقطة الملاقاة ، ثم هو رأى أن مدافعة الساكن تؤثر فى القسط ، الذى على العمود ، فيكون هذا القسط عند الرجوع بحسب ممانعة الجسم الساكن ، حتى اذا كانت ممانعته (كما قال بلفظه) فى الغاية ، انقلب اتجاه هذا القسط دون أن يتغير مقداره .

أما القسط الآخر الذى فى اتجاه المماس فيبقى على حاله دون أن يتغير ، واستنبط من هذا أن حركه الكرة عند الرجوع تكون مركبة من هذين القسطين، وان خط الحركة وخط الرجوع والعمود من نقطة السقوط تكون جميعا فى مستوى واحد ، وأن زاوية السقوط تكون مساوية لزاوية الانعكاس .

كان هذا فى القرن الحادى عشر أى قبل جاليليو بأكثر من خمسماية عام .

لقد طبق نظريته الميكانيكية هذه على شعاع الضوء ، واعتبره مكونا من كرات صغيرة أقرب الى الجوهر الفرد ، وكل كرة انما تصطدم بالسطح التى تسقط عليه ، فهى تنعكس بحيث أن زاوية السقوط تساوى زاوية الانعكاس .

ومن هذه النظرية ، وضع اسحاق نيوتن نظرية الجسيمات فى الضوء ، بتعبير آخر فى التسمية حتى تخرج فى ثوب آخر .

نسبية الحسن بن الهيثم ونسبية جاليليو :

لقد كان الحسن بن الهيثم هو اول من فكر فى وجود « محور اسناد » ونقصد بذلك مجموعة من الاحداثيات اللازمة لتحديد موضع جسيم فى الفراغ ، ويتحرك الجسم الحر الذى لا تؤثر عليه قوى خارجية بسرعة منتظمة بالنسبة لهذه الاحداثيات ، ويسمى هذا النوع « محور ذاتى » ، وبناء عليه فان كل قانون من قوانين الطبيعة ثابت فى جميع محاور الاسناد الذاتية ، أى أن المعادلة التى تصف أى قانون عن كتابتها بدلالة الاحداثيات والزمن لمختلف محاور الاسناد الذاتية يكون لها نفس الشكل ، وهو ما نجده واضحا فى قانون الانعكاس ، أو قانون تصادم الأجسام كما عبر عنه ابن الهيثم .

جاء جاليليو وطبق نفس الفكرة حيث افترض زمنا لكل نقطة فى الفراغ ، وافترض ثبات الحركة الكلية أى أنه لم يأخذ فى الحسبان فكرة الديمومة، وفكرة « التفاعل » بين الجسيمات المادية ، والجديد فى بحوث جاليليو أنها تضمنت فكرة الفراغ بثلاثة أبعاد ، أما ابن الهيثم فانه اهتم باحداثيين فقط احدهما أفقى والآخر رأسى .

ومن مفهوم أبحاث ابن الهيثم وابحاث جاليليو أنهما اعتبرا سرعة انتقال التفاعل بين الجسيمات المادية هى مالا نهاية .

اما نظرية النسبية لاينشتين فانها تعتبر بأن سرعة انتقال التفاعل ثابتة فى جميع المحاور وهى ثابت عام يساوى سرعة الضوء التى قيمتها ٣ × ١٠^١٠ سم / ثانية ، ونظرا لكبر هذه السرعة فانه فى ميكانيكا الأجسام العادية تظهر نتيجة التفاعلات بين الاجسام بعد فترة قصيرة جدا من الزمن ، حتى اذا وضعنا هذه السرعة مالا نهاية ، فان النتيجة لا تتأثر تأثيرا محسوسا .

لقد وضع ابن الهيثم اللبنة الأولى لعلم الميكانيكا الكلاسيكية ، ثم تبعه ديكارت وفرما وجاليليو ونيوتن ، وبحوثه لم تستمر فى النمو طول حقبة من الزمان تقرب من ستمايه عام ، نظرا لما كان عليه الشرق من تمزق داخلى وفتن وحروب ، ولو كانت لابن هيثم مدرسة لها امتداد لوفرت للذهن البشرى هذه الحقبة الراكدة ، ولأصبح للعلوم الميكانيكية شأن آخر فى عصرنا .

« احمد سعيد الدمرداش »

أخطاء فنية فى فيلم ثمن الحرية

بقلم: عبد الفتاح البارودى

ماذا فعله نجيب محفوظ بمسرحية « مونسيرا » ؟!

قام باعدادها فى فيلم سينمائى أنتجته مؤسسة السينما باسم « ثمن الحرية » ، والفيلم يعتبر – بالنسبة لأفلامنا – خطوة كبيرة فى طريق رفع مستوى انتاجنا السينمائى ، والجهود التى بذلت فيه تستحق التقدير ، ولكن الاعداد السينمائى لم يبرز جوهر المسرحية ولا فكرتها ، او على الأصح لم يبرز عمقها ·

اولا لا جدال فى أن هذا الفيلم باعتباره من انتاج القطاع السينمائى العام ، يؤكد أن هذا القطاع بدأ تنفيذ التخطيط الذى أعد لانقاذ السينما من التفاهة ··· فقد اتهم بأنه لم يحدث جديدا فى الانتاج السينمائى ، واتهم بأن أفلامه لا تختلف عن أفلام القطاع الخاص ، وأقصد الأفلام السيئة ، لأن القطاع الخاص أنتج « فلتات » جيدة ··· وفعلا ظهرت للقطاع العام أفلام لا تختلف شكلا أو موضوعا عن الأفلام التى طالت الشكوى من تفاهتها ، وظهرت له أيضا أفلام معقولة المستوى ، ولكن فيلم « ثمن الحرية » بالذات يعتبر فيلما موضوعيا جادا ، ويعتبر انتاجه مغامرة فنية لم يكن من الممكن اطلاقا أن يقتحمها القطاع الخاص ·

من هنا أعتبره البداية الحقيقية لتنفيذ التخطيط السينمائى الجديد ، ومن أجل ذلك أناقش الأخطاء الفنية التى وقع فيها ، كمحاولة للتعاون النقدى مع القطاع العام على مواجهة أخطائنا ، والإستفادة منها ، والعمل على تلافيها ·

ولاشك فى صعوبة تحويل المسرحيات الى أفلام ، فمن البديهى أن المسرح له تكنيك خاص به يختلف عن تكنيك السينما ، ولكن مع تقدير هذه الصعوبة كان يمكن – بسهولة تحاشى أخطاء كثيرة واستكمال نقائص كثيرة ·

من حيث اختيار الموضوع ، لماذا اختارت مؤسسة السينما هذه المسرحية بالذات ؟ ربما يقال ان هذا السؤال كان يمكن توجيهه اليها لو أنها اختارت أى موضوع آخر ، فضلا عن أن هذه المسرحية تستلهم موضوعها من أحداث احدى معارك تحرير الشعوب ، وبذلك فهو موضوع هام بالنسبة لنا·· وهذا صحيح ، ولكن هذه المسرحية بالذات تتناول أحداثها بتكنيك مسرحى يعتمد أساسا على تركيز المشاهد تركيزا شديدا ، وعلى الحوار المسرحى البالغ الدقة والكثافة ، وعلى الصراع المسرحى الذى يتعذر تصويره فى غير مجاله المسرحى ··· الخ ···
ومع ذلك فان افتقارنا الى الموضوعات السينمائية يبرر البحث عن موضوعات فى مختلف الأعمال الأدبية ، ومنها المسرحيات ، ولكن عندما نأخذ المسرحية – أى مسرحية – من خشبة المسرح وننقلها الى بلاتوهات السينما ، لابد من مراعاة أصول التكييف السينمائى ·

فلا يجوز مثلا أن يكون ترتيب الأحداث فى المسرح هو نفس ترتيبها فى السينما ··· ولا يجوز استخدام التركيز المسرحى فى المشاهد ··· ولا يكفى أن ندخل مشاهد سينمائية فى بداية الفيلم ثم نترك المشاهد الرئيسية فى طابعها المسرحى دون استخدام الحركة السينمائية واللغة السينمائية ·

***

ولكى نتبين ذلك بوضوح تعالوا نقارن بين المسرحية والفيلم ، لنرى ماذا فعله نجيب محفوظ فى

الاعداد السينمائى ، وطلبه رضوان فى السيناريو ، ولطفى الخولى فى الحوار .

ان المسرحية باختصـــار تصـور لنا صراعا بين الاستعمار والوطنية ، وهــذا الصراع يتمثـل فى ناحيتين :

الناحيـة الأولى مسـتلهمة من أحداث تاريخية ، حينما كان الجيش الاســبانى فى القــرن الماضى مستعمرا فنزويلا ، ثم قام أهــالى فنزويلا بثورة تحريرية .

الناحية الثانية مستلهمة من معان انسانية ... كان أحد ضباط الجيش الاسبانى ارتفعت مشاعره ، لايمانه بحق الشـعب الفنزويلى فى التحرر ، وبدا يعاون الثوار فى الخفاء ... كان قائد الثوار يدير المعــركة من مكان اعتصــم فيـه ، وكان الجيش الاستعمارى يبحث عن هذا المكان بكل الوسائل ، وعلم قائد المستعمرين أن أحد ضباطه (مونسيرا) يعاون الثوار ويعرف مكان قائدهم ، فألقى القبض على (مونسيرا) يعاون الثوار ويعرف مكان قائدهم ، فألقى القبض على (مونســيرا) وحاكمه بتهمة « التمرد » ... وفى خلال المحاكمة حاول أن يعرف منه مكان الثــائر المختفى ، ولكنه رفض باصرار ، فهدده بأنه سيقتل عددا من المواطنين الفنزويليين اذا لم يعترف ... أراد بذلك أن يشـعره بأنه هو المسئول عن قتل هؤلاء الأبرياء ، فربما يدفعه ذلك الى التضحية بفرد واحد ، هو الثائر المختفى ، نظير انقاذ المواطنين الأبرياء ... ولكن (مونسيرا) رفض أيضا ، وعندئذ نفذ القــائد الاستعمارى تهديده ، وطلب من جنوده احضار أول ستة أشخاص يقابلونهم فى الطريق .. وفعلا أحضروهم ... وأنذرهم القائد الاستعمارى بأنه سيقتلهم اذا لم يعترف مونســيرا بمكان ثائرهم المختفى ، وأمهلهم ساعة واحدة ليقنعوه بأن يعترف ... اننــا نلمس هنــا براعة المؤلف المسرحى « عمانويل روبليس » ... فهو يواجـه (مونسيرا) بستة من الفنزويليين يتوسلون اليه أن يعترف بمكان ثائرهم ، ليدرك أنه لا يمكن أن يكون أكثر اخلاصــا للقــائد الفنزويلى من الفنزويليين أنفسهم .. ثم ان المؤلف اختار هؤلاء الستة اختيارا دقيقا ، فقد اختارهم كنماذج بشرية مختلفة الآمال والطابع والأوضاع ، وجعـل كلا منهم يفاضل بين الحياة والموت ليختار الحيــاة ، وهو بذلك يزيد مسئولية مونسيرا عن قتلهم ... وبديهى أن المؤلف أدانهم — ضمنا — بالأنانية ، لأن الاستعمار يخلق السلبية فى النفوس الضعيفة ، ومن هنـا استطاع المؤلف أن يستخدمهم كأدوات مسرحية... وواضح جدا أن مواجهــة هؤلاء الستة لمونسيرا لمدة ساعة ، يناسب الأوضـــاع المسرحية ولايناسب الأوضــاع السينمائية ... وكل تفصيلات المسرحية مكتوبة فى مجال مسرحى ، وكان يجب عند تحويلها الى السينما مراعاة التكنيك السينمائى .

ولكن الفيلم احتفظ بالتفصــيلات والمشــاهد — غالبــا — بنفس الأسلوب المسرحــى ، وبنفس الترتيب ... حدثت محاولات لاكســـابه الصبغة المحلية ، ولكنهــا محاولات شكلية ... وأدخلت مشاهد ســينمائية ولكنهــا عابرة ... فمثلا فى البداية رأينا مجموعة من فرسان البوليس تتحرك أمام الكاميرا ، ولكن فى الأحداث نفسـها لم نلمس الحركة السينمائية ... ان الفيلم وضع (قومندان البوليس) الانجليزى مكان قائد الجيش الاستعمارى ، وادار الأحداث حول البحث عن الثائر المختفى ، واظهر شخصية هذا الثائر ... وفى هذه النقطة يختلف الفيلم عن المسرحيـة ، ولــكن لم يكن لظهور هذه الشخصية تأثير جوهرى فى مجرى الأحداث أو فى السياق أو فى تعميق الموضوع أو فى الهدف أو فى تحقيق الصورة السينمائية ... ان هذا الدور يمكن حذفه دون أن نشعر بأى نقص فى الفيلم .

والسبب أن الحدث الرئيسى يتبلور فى شخصية الضابط الذى يعرف مكان الثائر ويصمم على عدم الارشاد عنه ... وهــذا الحدث وما يرتبط به من أحداث ظهر فى الفيلم بنفس ترتيب المسرحية .

ومن التجديدات فى الفيلم أنه غير سـلوك بعض الشخصيات ، فمثلا رأينا القومندان الانجليزى يحاول العبث مع فتاة (من مجمــوعة الستة أشخاص) ، ورأينا بعض الضــباط الذين يعملون معه يتصرفون تصرفات لم تحــدث فى المسرحيــة ، ولكن كل هذه التغييرات فرعية وغير ذات أثر فى تعميق الأحداث .

التغيير الجوهرى الذى أحدثه الفيــلم هو تغيير النهــاية ... فان المسرحية انتهت باعـدام الستة أشخاص ثم اعدام الضــابط الذى انحـاز الى الفنزويليين ، بينما صور لنا الفيلم أن أحد الضباط الذين يعملون مع القومنـدان الانجليزى واجهه فى النهاية واشهر مســدسه فى وجهه ثم أطلق عليه

الرصاص فلقى مصرعه وتدحرج على السلالم ٠٠٠ وبهذا الشكل تحولت الرواية الى فيلم ميلودرامى ، وبذلك تهافت عمقها ٠٠٠ لماذا ؟

ان المسرحية القت الضـــوء على مبررات سلوك الشخصيات بمنطق قوى من واقع الأحداث ، ولذلك ظهر احتدام الصراع ٠٠٠ ان قائد الجيش الاسبانى كان يتصرف معتقدا أنه يؤدى واجبه من وجهة نظره فى مواقف حتمية ٠٠ والضابط الذى حاكمه كان ايضا يتصرف معتقدا أنه يؤدى واجبه من وجهة نظره فى مواقف حتمية ، ومن هنا احتدم الصراع ، ولهذا تنتهى المسرحية بعبارات عميقة يقول فيهـــا القائد للضابط قبل تنفيذ حكم الاعدام : (أنا أديت واجبى كقائد ، وأنت أديت واجبك كانسان) ٠

اما الفيلم فان تحويله من مأســاة الى ميلودراما اضعف مغزاه ٠٠٠ ربما يقال ان نهاية الفيلم أنسب الى مفهومات الجمهور ، ولكن هل يمكن أن تعتبر هذا تعليلا فنيا فى أفلام القطاع العـــام ؟ ولماذا اختيرت هذه المسرحية للاعداد السينمائى اذن ؟!

نفس الملاحظات توجه الى السيناريو ايضا ٠٠٠ كان فى اســتطاعة الســـيناريست أن يغير ترتيب المشـــاهد ٠٠٠ وكان يمكنه بدلا من وضـــع الستة شخصيات فى مكان واحـد طول الوقت ، أن يدخل مشـــاهد سينمائية خـلال ذلك ليلقى الأضواء على آمالهم واحلامهم وظروفهم الخاصـــــة بهم من واقع حياتهم ٠٠٠ لو كانت الرواية تصـــور كيف يواجه الانسان لحظة موته لكان من الجائز أن يسجنهم فى مكان واحد ، ولكنها تصور كيف أن الاستعمار يقتل المعانى ، وتصور فى هؤلاء الأشخاص رموزا للمجتمع الذى عاشوا فيه ، ورموزا تعبر عنهم كأفراد يدورون حول ذواتهم ومصـــالحهم أيضـــا ٠٠٠ وليس فى استطاعة المؤلف المسرحى ــ بحكم طبيعة المسرح ــ أن يسرد كل ذلك بشكل تفصيلى ، ولكن من السهل على الفنان السينمائى أن يوضح كل التفصيلات ٠٠٠ لهذا كان من الأفضل أن يوضـــح السيناريست احلامهم ومشـــاعرهم واسباب توسلاتهم بالصـــورة السينمائية والحركة الســـينمائية ٠٠٠ وكان يمكن أن يجسد الأحداث بلغة الكاميرا ، وليس بلغة الحوار المسرحى ٠

فى الحوار كذلك لاحظت اقحام عبارات خطابية لتناسب المواقف التى تحولت فى الفيلم الى مواقف خطابية ، وعبارات استطرادية ، وعبارات غريبة على الواقع الفنى ٠٠٠ فمثلا سمعنا القومندان الانجليزى يقول (رب ضارة نافعة) ٠ وكان من السهل طبعا أن يقول عبارة أخرى بنفس المعنى وأقرب الى الواقع الفنى المقنع ٠

ومع ذلك فالحوار بالذات يعتبر من اقوى عناصر هذا الفيلم ، لأنه تحاشى الاطناب كما تحاشى افتعال الاثارة ٠

أيضا فى الســيناريو مزايا كثيرة اهمهـــا ربط المشاهد دون حدوث فجوات أو نقلات فجائية ٠

وكذلك فى الاعداد السينمائى مزايا كثيرة ، ولولا تغيير النهاية لظهرت هذه المزايا بشكل أوضح ٠

والمخرج نور الدمرداش بذل جهدا ضخما ، ويكفى للدلالة على ذلك أنه اجتذب الأذهان الى الشاشة بلا ملل ، رغم بطء حركة المشاهد ، ولو أنه تغلب على هذا البطء لازداد امتيازا ٠٠٠ ولا ادرى لماذا أبرز مشـــاهد قتل الستة اشخاص ــ أو بعضهم ــ على الشاشة ، ولعله اراد أن يبرز مســـاوىء تصرفات القومندان الانجليزى ٠٠٠ ومع ذلك فانه استخدم أبعاد التصوير بمهـــارة ، واختـــار لقطات جيدة التعبير ٠٠٠ أيضـــا لا أدرى لماذا أسرف فى اثارة الضحك على موقف حامد مرسى وهو احد الأشخاص الستة ، كما أسرف فى اثارة الأسى على موقف كريمة مختار ، وكذلك أسرف فى تصلب موقف القومندان٠٠ ان هذا التصلب أثر على أداء محمود مرسى فى هذا الدور ٠٠٠ والعنصر التشكيلى لا بأس به ، ولكن بعض الشخصيات لم تفعل شيئا ، وبعضها كان أكثر نشاطا من طبيعة دوره ، مثل محمـــد توفيق ، وان كان هذا الفنان قد برهن على مقدرة تعبيرية ممتازة ٠

الفيلم على وجه العموم تجربة جريئة ، بل مغامرة جريئة ، واتمنى أن تبذل هذه الجهود فى قصـــة سينمائية مؤلفة ٠٠ ولكن اين المؤلفون ؟!

عبد الفتاح البارودى



مؤتمر ادباء العرب

والحركة الأدبية العربية الواحدة

ينعقد المؤتمر الخامس لأدباء العرب ببغداد فى ديسمبر القادم ، وهو يجىء فى وقته .. عقب اجتماع مؤتمر القمة الثانى الذى وصل فيه التكتل العربى القومى العام قامة العملاق ..

واعتقد ان اهم موضوع يجدر بمؤتمر ادباء العرب الآن ان يبحثه ويناقشه ويضع خطوطه ويبين وسائل تنفيذه ، **هو الوحدة الفكرية فى الوطن العربى الكبير .**

ان كلمة « **ادباء العرب** » يجب ان يكون لها مدلول كامل فى واقع حياتنا العربية الحاضرة . ومما يؤسف له ان مدلولها الآن ضئيل جدا .. مدلول قزم .. فى الوقت الذى يبلغ فيه التعاون العربى القومى العام قامة العملاق ..

كم كاتبا وكم شاعرا يستطيع الوطن العربى الآن ان يعدهم كتابه وشعراءه على المستوى العربى الشامل ؟

لست من « الكنتيين » الذين يقولون ويرددون دائما : كنت .. وكان .. ولكنى ارى هذه الظاهرة بالذات — ظاهرة انحسار المعنى العربى الشامل عن معظم الأدباء الآن فى مختلف البلاد العربية — تضطرنا الى ان ننظر الى الماضى .. الماضى القريب والبعيد .

منذ ثلاثين او اربعين عاما كان القارىء فى اى بلد عربى يستطيع ان يذكر اسماء كثيرة .. المازنى ، العقاد ، هيكل ، شوقى ، حافظ ، مطران ، الرصافى النشاشيبى ، طه حسين ، الزيات ، الرافعى ، زكى مبارك ، وكثيرين غيرهم — **يذكرهم على انهم ادباؤه .. ادباء بلده الذى يمثلون ثقافته ويعبرون عن اهتماماته ويجد نفسه فى كتاباتهم .**

ومن قبل هؤلاء هاجر الى مصر ادباء وصحفيون من لبنان وسوريا ، لأسباب سياسية واجتماعية ، تعاشوا بها كما يعيش ابن البلد فى بلده ، وكان لهم فضل كبير فى النهضة الادبية والصحفية فى هذه البلاد . ونحن الآن نعدهم من اعلام تاريخنا الفكرى كامثالهم من المواطنين المصريين سواء بسواء .

ولست فى حاجة الى ان اذكر اسماء مثل المتنبى وابى تمام والمعرى والجاحظ وابن خلدون ، الذين نشأوا فى مختلف البلدان العربية وصار كل منهم تراثا فكريا لسائر العرب فى كل مكان .

حقا ان الظروف المرحلية التى مرت بها المجتمعات العربية كان لها تأثير كبير فى علاقات ادباء العرب بين بعضهم وبعض ، وفى العلاقات بين ادباء اى بلد وقرائهم من البلاد الأخرى . ففى مطلع النهضة الحديثة كان احد الركنين الاساسيين لهذه النهضة هو بعث التراث العربى ، وهو عامل مشترك بين البلاد العربية كلها . وكان الركن الثانى هو التزود من الثقافة الغربية والتأثر بها ، وهذا ايضا كان حاجة يشعر بها العرب كضرورة للتقدم والمشاركة فى الحركة الفكرية العالمية .

وجاءت بعد ذلك ظروف اخرى قضت بأن يوجه الأدباء عنايتهم الى البيئات المحلية وتصويرها وابراز ملامحها . ولابس تلك الظروف شعور باليأس ازاء ما ساد البلاد العربية من التمزق السياسي كنتيجة

للسيلة الاستعمارية ، فتقوقع الادباء فى بيئاتهم المحلية ، وكفر الضعفاء منهم بالقومية العامة ..

ولا تزال آثار من تلك الظروف والملابسات باقية ، برغم الثورة العربية التحررية القائمة الآن والرامية الى التوحد والتكتل ، وبرغم التحول العربى العام الذى وصل فى اجتماع القمة الثانى بالاسكندرية الى مبدأ الانطلاق العظيم .

نعم لا يزال الادباء متقوقعين فى بيئاتهم المحلية ، وتكاد الحركة الادبية فى كل بلد عربى تنعزل عن مثيلاتها فى باقى البلاد ، حتى الصلات والزيارات بين الادباء .. لا نرى منها الا القليل النادر الذى يكاد ينحصر فى اللاجئين السياسيين .. بل اننا نستقبل ادباء من اوربا وامريكا فى نوادينا اكثر مما نستقبل من ادباء العرب .

ولعل من ظواهر التباعد بين ادباء العرب ان مؤتمرهم نفسه ظل معطلا نحو ست سنين ، بعد انعقاد دورته الرابعة فى الكويت سنة ١٩٥٨ .

والآن ... قد تغيرت الظروف السياسية والاجتماعية ، وتجمع العرب ، وأصبح شعارهم « العمل العربى الواحد » فى مجالات السياسة والاقتصاد والاجتماع ، واننا نرى ان هذا الشعار لا يجب فقط ان يكون كذلك فى مجال الادب والفكر ، بل نرى ان الوحدة الفكرية هى التى ينبغى أن تقود الحركة الواحدة فى المجالات الأخرى .

وقد اثبت قادة العرب بعملهم العربى القومى الواحد انهم قادة العرب .. فعلى ادباء العرب كذلك ان يثبتوا أنهم ادباء العرب . وها هى ذى الفرصة تحين بانعقاد الدورة الخامسة لمؤتمرهم فى هذا الوقت الذى وصل فيه العمل العربى الواحد الى ما وصل اليه من النجاح العظيم فى مؤتمر القمة الثانى .

ان الحركة الأدبية العربية الواحدة يجب ان تكون فى مقدمة ما يهتم به ادباء العرب .. انهم سيلتقون ويتبادلون الاراء والافكار ويعمقون الصلات وعلاقات الاخوة العربية ، ولا يصح أن ينتهى كل شىء بانتهاء الاجتماعات والمناقشات ، **بل يجب أن توضع خطة عملية تنظم لها وسائل التنفيذ والمتابعة .**

يجب ان تهتم دور النشر والصحافة وسائر اجهزة الاعلام فى كل بلد عربى بالانتاج الأدبى فى البلاد الأخرى ، وذلك بالتقديم والتعريف والنقد والمناقشة .

حقا ان هذه الحركة تكاد تكون متوقفة فى داخل بلد كبلدنا ، اذ نرى اهمال النقاد للاعمال الادبية التى تظهر تباعا ، وقصر همهم على النقد المسرحى ، ويظهر انهم اصبحوا يستسهلونه اذ لا يكلفهم مشقة القراءة والبحث .. ولكن هذا الركود يجب ان يوضع له حد ، ولتكن الحركة العربية العامة من وسائل البعث والنشاط .

والزيارات والرحلات من اهم الروابط ، ومن اهم الفرص لتنمية العلاقات المبنية على التفاهم والدراسة الاجتماعية .

ونعلم ان فى المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب مشروعات لتحقيق ذلك الغرض ، نرجو ان نرى تنفيذها قريبا .

ومما يحمد للمجلس فى هذا الصدد مشروع « **الكتاب الوصفى** » الذى بدأ تنفيذه فى هذا العام وهو يقضي بنشر الكتب التى يؤلفها عن البلاد العربية مواطنون اتيح لهم أن يقيموا فى البلاد التى يؤلفون عنها مدة تكفى لدراسة الناحية التى يتناولها المؤلف .

وهذه المجلات الأدبية .. لا شىء افعل منها فى توثيق الروابط الأدبية ، وقد كانت « **الرسالة** » فى عهدها الأول مجالا خصبا للأدباء والمتعلمين فى جميع البلاد العربية ، قراءة لطلاب الادب ونشرا لذوى الاقلام . وها هى ذى تتابع اداء رسالتها ، **وقيادتنا الثقافية ترمى بها بقية اخواتها الى ان تكون مجلات عربية يشعر كل الادباء والمتأدبون العرب انها مجلاتهم ، يجدون فيها الخصب الأدبى والتربة الصالحة لنمو المواهب الجديدة .**

ان مهمة الادب الاولى هى ان يعبر عن العصر وعن اهتمامات المعاصرين وتطلعاتهم ، ونحن الآن ازاء تطلعات عربية جديدة لا ينبغى ان يغفل عنها الأدباء العرب ، وعلى مؤتمرهم القادم أن يجعل الحركة الأدبية العربية الواحدة فى مقدمة ما يبحثه ، ونحن نعتقد ان الامال تتعلق بهذه الحركة ، والوجدان العام ينشدها ، فهى لا تحتاج غير الدعم والتنظيم .

وقد نشر ان الموضوع الرئيسي لمؤتمر ادباء العرب القادم هو دور الادب فى الحركات العربية التحررية

الحالية ، وهو موضوع كبير جدير بالبحث والعناية ، ولكنه واى موضوع او هدف آخر للمؤتمر لن يتحقق على خير ما يرجى منه الا بدعم الحركة الادبية العامة وتقوية الصلات الفكرية والشخصية بين ادباء العرب فى سائر بلاد العرب .

كشكول

● تقرر تأجيل انعقاد مؤتمر الأدباء العرب من ٢٥ نوفمبر الى ٢١ ديسمبر القادم .

● ينعقد مهرجان الشعر فى هذا العام ببغداد عقب مؤتمر الأدباء العرب .

● **« وقد قيل فى منافعها : انها تهضم الطعام وتقوى الضعيف ، وتعين على الباه ، وتسخى البخيل وتشجع الجبان ، وتصفى اللون » .**

جاء ذلك النص فى مقال « **التدرج فى التشريع الجنائى الاسلامى** » للأستاذ احمد فتحى بهنسي المنشور فى الرسالة (١٩٦٤/٩/١٧) وذلك فى مجال الحديث عن الخمر .

واعتقد ان الكاتب عند مايورد نصا كهذا مسئول عن تفنيده ان لم يكن يرى صحته . وكاتبنا لم يفند ما نقله من منافع الخمر ، فهل يعتقد صحتها ؟! وهل يتفق ذلك مع اغراضه الدينية .. التى يبسطها فى مقالاته المتتابعة .. ؟

● كتب الأستاذ عبد الفتاح البارودى فى جريدة الأخبار يقول : « **هل نجد فى ادبنا صورة حقيقية لحياتنا ومشكلاتنا ؟! ابدا ان الادب عندنا لا يزال ـ غالبا ـ براعة لفظية او تعبيرات عاطفية او مقالات خطابية .. الخ** » .

الظاهر ان البارودى يتحدث عن ادبنا ايام كان شابا ! .

عباس خضر



ارفعوا شعركم عنه

حين طالبنا فى أعداد سابقة من الرسالة ، أن الدين يجب أن يرفع وصايته عن الشعر ، كان يدور فى أذهاننا أن هناك من يدخلون بالدين « **الحرب الباردة** » فى مواجهة الأديان الأخرى ، وفى مواجهة التراث الاسلامى كنبع .

وكان يدور فى أذهاننا أن الهموم المعاصرة للانسان العربى فى المنطقة لم تعد « ميتافيزيقية » الى حد أن الدين يصبح شيئا مقلقا عند بعض الأدباء والنقاد فى كافة الحقول الأدبية .

وفى الوقت نفسه كان يدور فى أذهاننا ان هناك من يحرم الحديث عن بعض « الجيوب » فى الفكر ، ومن سيقرن الحماس لقضية الشعر ودوره بالحديث عن المسيحية بعد أن كسبت المعركة فى الشعر العربى المعاصر ، بحيث اصبح أكثر ما يقال الآن اما ترجمة عن الانجيل ، أو نقلا لرموزه ومواقفه ، على نحو ما هو موجود فى الدواوين الأخيرة ، والقصائد التى تنشر بين الحين والحين ، وكما هو موجود فى تفسيرات النقاد أنفسهم !

ولكن هؤلاء نسوا أنا طالبنا برفع وصاية **الأديان جميعا** ، وان كنا قد ذكرنا بأن التجربة الدينية تجربة ثرية ، وأن على الشاعر أن يستوعبها بدلا من أن تستوعبه هى بوجوهها المتعددة ، وأيديها التى لا تحصى .. بحيث يمكن أن تظهر كخلفية فى اللوحة ، أو كخيوط فى النسج لا أن تكون كل اللوحة أو كل النسج !

بل لقد رأينا أن على الشاعر أن يصل الى حقيقة « **جوهر الأديان** » ثم يصدر عنه بدلا من أن يقف ويطيل الوقوف عند الصلب ، أو عند غار حراء .

بل لقد طالبت بالانتفاع **ـ فى حدود ما ذكرت ـ** بالتجربة غير الكتابية عند الانسان الافريقى فى بعض المناطق الافريقية ، وذهبت الى أن منظر « الساحر » ، وهو يصدع بصوته السماء ومن ورائه الأطفال والشباب والشيوخ والدموع فى مآقيهم من أجل المطر .. يعتبر من أسخى التجارب الانسانية المعاصرة ، لأن هذا النوع من « الصلاة » يصرخ من أجل جوع الانسان ، ومن أجل ضرب العقم بالخصب لا من أجل هذا النوع من « **الترف العقلى والعاطفى** » الذى أصبح يشغل الشعراء ، ويشل تجاربهم ، ويجعلهم يسيرون وراء بعض الأصوات الساحرة الى مناطق يمكن فيها قتلهم ، وامتصاص ما فيهم من بريق ونضرة !

ولقد لخصت هذه القضية فى العدد ٥٢ من مجلة الرسالة بقولى

« **.. والظاهرة التى لا يشك فيها أحد ـ من خلال قراءة مستوعبة للشعر المعاصر ـ ان أغلب**

قصائد الشعر الحر هى التى تحتضن هذا الاتجـاه الخاص بالرموز والمواقف المسيحية ، ذلك لان هؤلاء الشـعراء اما واقعـون تحت تاثير بعض المثقفين الشديدى الذكاء ، واما لأنهم يعيشـون فى المناخ الشعرى للبنـان ، واما لانهم يعتقدون ان القصيدة العمودية تمت بصلة شديدة الى التراث العربى ومن هنا كانت المبالغة فى الجانب الآخر ، واما ان القوامين على الدين الاسلامى يبالغون فى التحفظ على مثالياته ورموزه » .

وقد وقفنا طويلا عند الحديث عن هذه الظاهرة ، ولكن الذى حدانى الى الكتابة الآن هـو أنى رأيت « **فكرة الله** » تشغل عددا من شـعرائنا المعاصرين الآن الى حد الازعاج ، وأى انسان يستطيع أن يضع اذنه الآن على ما يقال فى الجرائد والمجلات العربية، وبخاصة فى لبنان .

فاذا ذكرنا مثلا على هـذه الظاهرة يوسف الخال — وهو يوجه الشعر هناك بشعره وبمجلة شعر — وجدنا اجماعا من النقاد على أن الله أصبح شـغله الشاغل ، وأن شعره — كما قيل عنه — يؤكد بوعى وشعور أن الله تجسد انسانا ، ثم مات ، ثم بعث ، وبهذا يستحيل الى الحرية والحضـور الأبدى الذى لا يمكن الخلاص به ، وأنه فى هـذه الدائرة يلف ويدور دون أن يعير الحياة من حوله التفاتا شعريا معمقا .

بل ان دزموند استيوارت — نقلا عن العدد الأخير من مجلة حوار — يقول « ويوضح شعر يوسف الخال ذاته رغبة فى تجديد الشعر العربى تجديدا كليا ، وذلك فى أنه يكتبه من وجهة نظر مسيحية مباشرة، وهذا شىء لم يفعله أى شاعر عربى كبير فى اللغة العربية فى الماضى » .

وهكذا يضيع هؤلاء الشعراء طاقاتهم فى قضـايا غيبية ، وكأنهم يتعمدون عرقلة الحياة عن أن تسير أو عن أن يلتحموا بالجمـاهير وهى تنتزع اللقمة ، وتحقق النصر بعد النصر .

واذا غفرنا هذا يوسف الخال ومن على شاكلته، فكيف نغفر لبعض الوجوه الثورية أن تسير بنـا الآن الى هذا « التيه » .

فالدكتور لويس عوض .. يشـغله « الرب » الآن بصورة لم نعهدها فيه من قبل ، وليس معنى هذا أن الرب لم يكن يشغله من قبل ، ولكنه يشغله فى هذه الايام الى حد أنه سيصدر فى كتاب قصيدة طويلة بعنوان المكالمات ، وقد نشرت منها « حوار » الى الآن القسم الاول بعنوان « اللاهوت » فى سبعة عشر مقطعا ، ثم نشر بعد ذلك القسم الثانى بعنوان « الناسوت » فى أحد عشر مقطعا ثم تبشر المجلة القراء بالقسم الأخير منها وعنوانه « الخلاص » . وهو فى القسم الأول منها يقدم نفسه حين كان على اعتـاب الكثلكة عام ١٩٥٦ ، ثم يتحدث عن دين قومى له وجه واحد هو وجه المسـيح أما القسم الثانى فيبدأ بهذه الابيات التى تقول :

وقالوا : ربنا واحد . فقلت : ليتـه عشرة
كمثل زيوس فى الاوليمب يحسو الراح فى زمره
ويؤنس بعضهم بعضا وتحلو العزلة المرة
وينسونا وننساهم ، ويشرب آدم خمره .

ثم يتغزل فى ابليس ، ويكذب الذين دمغـوه بالقرنين والذنب ، وقالوا كنيته « ابو لهب » — ترى من هؤلاء ؟ .

ثم يذكر أن قابيل حين عرف ان الله يهوى اللحم ذبح له هابيـل ، ولـكن الرب حين يجد هـذا يخر « مفلوجا كمعلول بلا علل » .

ثم يذكر أن الله بصق فى وجه أيوب وفى روحه وحين شكر أيوب الله ، زاد الله بدوره فى «البصق» وحين لم يفهم أيوب السر « بال » على صديد الحلق من الغيظ .

ثم يختم هذا « الشعر » بأنه حين أكل الله قوى زنده !

ترى لماذا تحظى « **حوار** » بهذا السبق الشعرى بعد أن دمغها كل الكتاب فى لبنان والجمهورية العربية المتحدة بأنها تصدر عن مؤسسة تضع نفسها فى خدمة الاستعمار والصهيونيـة ؟ ومن هؤلاء الذين دمغوها فى مقالات تلاميذ مخلصون للدكتور الشاعر! ولماذا « **يكرم** » الشعر العمودى كل هـذا الـكرم فيجعلها تجرى على نسقه، ولماذا يشغل نفسه بالرب الى هذا الحد الذى يقوله فى ختام القصيدة :

الهى صائد ماكر . أنا من أمره حائر

الهى عنكبوت ينسج الأحلام فى روحى

ثم يقول انه يطن للاله ، بفلسفته وتجديفه وتسبيحه ، طنين ذبابة عمياء !

والشاعر **عبد الوهاب البياتي** .. أصبح يشغله الاله فى القصائد التى نشرها أخيرا بعد عودته من موسكو ، فهو يقول فى قصيدة بعنوان المدينة :

رأيت وجه الله فى واجهة المخازن

مجللا بالحزن والسواد

مكبلا يبصق فى عيونه الشرطى واللوطى والقواد

ثم يقول فى قصيدة أخرى تدين العرب وتاريخهم ومقدساتهم . ثم يعلق الاله على المقصلة

صبوا الماء على الماء
رقصوا فوق حبال الكلمات الصفراء
صنعوا شعراء
نصبوا خلفاء
ومطايا وطواحين
فاذا الكل هباء
قبض الريح غثاء
الشعر تقاطيع سوداء
الحب بكاء
التاريخ فتوح نساء
فالكلمات الكاذبة الجوفاء

لن تصنع عنقاء
من جمل الصحراء !!
القطط العمياء
تلد القطط العمياء
أرض الصلوات الخضراء
ولدت فأرا
ولدت حرباء
وسبايا وفقاقيع هواء
.. رأيت النسور تموت انتظار
رأيت الاله على المقصلة
رأيت الديوك على المزبلة
ديوك الصباح

وقد بسطت للسماء الجناح
فصاحت وصاح
غراب ــ وكان رحيل !
ثم ينتهى الى ان يقول
ان فارسه الذى فوق المدخنة
يحمل فى ضلوعه صليبه ووطنه
يموت فوق المدخنه
وحائط الرصاص والنوافذ المسننه
يمد ألف خنجر منها
وألف لفظة مبطنه
لتطعنه
لتطعنه
وهو يموت حاملا صليبه ووطنه

ومرة أخرى هل هناك شك فيما يقصد الشاعر بالكلمات الصفراء والذين نصبوا خلفاء ، وتاريخهم فتوح نساء ، وان أرض الصلوات الخضراء ولدت فأرا وحرباء وسبايا وفقاقيع .

ومهما يكن من شىء فالله قد أصبح يشغل الشعراء الذين يتصدرون الآن التوجيه الشعرى على الصعيد العربى، ومهما كانت وجهة النظر التى ينظر بها اليه ،فانا لانجد بدا من أن نصيح « **ارفعوا شعركم** عنه ، فالله لم يشوه فى المنطقة كما يشوه الآن ، ولم يستغل للاغراض المشبوهة كما يستغل الآن.. ونظرة واحدة الى الشعر الذى يقال الآن فى تشويهه واستغلاله تؤكد أنه يمت الى أشياء كثيرة ليس من بينها الشعر !

رمز الغراب

أصبح يرمز الآن للعرب ــ عند شعر الرافضين ــ بالرمل والغراب ، ولعل فى مقدمة هؤلاء جميعا الشاعر أدونيس ، فمما يقوله بعد أن ترك بلاده مغاضبا بعد الوحدة مع مصر

● وأنا أيامى السبعة جرح وغراب
فلماذا الاحجية

● آت بلا زهر ولا حقول
آت بلا فصول
لا شىء لى فى الرمل والرياح

في سرطان الصمت في المصار
أكتب أشعاري على التراب
بريشة الغراب

● رحلت شبابيكي
فما من زهرة ما من كتاب
انا والزوايا
لي خيوطي الواهنات ولي غرابي

ولا أدري لماذا ذكرت هذه الابيات وغيرها ، وأنا اقرا **لفوزي العنتيل** دراسة يقول فيها : ان الغراب يحتل مكانة هامة في الشعر الشعبي الانساني ، ففي المعتقدات الشعبية الايمان بقدرته على التنبؤ بالحوادث خيرها وشرها ، والوصول به الى حد التوقير ، وانه يعرف ويرى كل شيء ويقول الحقيقة ويقوم بمهمة حمل الرسائل ويفهم اللغة الانسانية وهو الذي دل قابيل على مواراة جثة هابيل ، وهو الذي أرسله نوح ليأتيه بخبر اليابسة ، وانه دليل ومرشد للمدن والسموات والناس ، ثم أخيرا انه رسول الالهة .

ترى هل يتغير موقف شعراء الرفض من هذا الرمز ؟

كتاب من السودان

ليس أحب الى نفسي من أن أجد كتابا يقدم الى من صديق ، فاذا كان هذا الصديق لا يمر الا في ذكرى، أو في كلمة حب تقال لصديق على سفر لكي يذكرك هناك في ندوة أجزاقانة العاصمة المثلثة ، أو في الجمعيات الادبية المنتشرة في السودان .. فانك تجد نفسك غارقا في «الدين» لهذا الصديق ، الذي يهبط عليك دون موعد ، ودون أن يطرق بابا ، أو أن يهز يدك وهو يعزف لك كلمة شوق .

ولقد هبط الى هذا الصديق في القاهرة ، ممثلا في مسرحية «**ودارت الرحى**» للاستاذ «**بشرى امين**»،

ولم أجد نفسي منتظرا لقراءة هذه المسرحية ، وانما وجدتني فرحا بها ، ومقلبا صفحاتها ، كان كل صفحة يد من هذا الصديق ، ولقد لفتت نظري هذه الملاحظة الذكية حول « **مشكلة اللغة** » في مقدمة المسرحية ، فقد جاء فيها .

« وقد جعلت لغة هذه الرواية العربية الفصحى السهلة الكلمات التي لا لبس في فهمها ولا غموض بالنسبة لعامة الناس من الناطقين بالضاد ، مع قصر الجمل ووضوح المعاني ، مع أن ابطالها من الوطنيين كانوا يتكلمون اللغة المحلية الدارجة في حياتهم ، ومن الاجانب لغاتهم المحلية أو الثقافية التي تعلموها في بلدانهم ، وذلك لاني لا أومن باللغة العامية لغة للكتابة ونشر الثقافة ، خصوصا وأن الموضوع يتعلق بكتاب يقراه السوداني وغير السوداني خارج السودان فلا يفهمه الا اذا كان مكتوبا باللغة العربية الفصحى ، لغة التخاطب والثقافة بين جميع الناطقين بالعربية في أقطار الارض المختلفة ، اذ لكل شعب في كل قطر لغته بل لغاته العامية الخاصة به والتي قد لا يفهمها عنه غيره من الشعوب ، أو قد يجد في فهمها بعض الصعوبات ، بل لا أبالغ اذا قلت ان بعض المناطق في القطر الواحد قد لا تفهم لغة أهل المناطق الاخرى ، أو قد تجد في فهمها صعوبة كما هو الشأن عندنا تماما » .

وهكذا يدرك الاستاذ بشرى أمين **- عن وعي -** أن الفصحى هي لغة الشعب ، كما يدرك الدور الخطير الذي يمكن أن يترتب على اهمال هذه اللغة في البلد الواحد ، كما في السودان .

هذه كلمة سريعة الى الصديق السوداني **بشرى أمين** ، وستكون الرسالة عند ظنه ـ وكما طلب ـ في الكتابة عنها في باب الزميل تحسين عبد الحي .

« عبده بدوي »





أضواء على المجتمع العربى

يستطيع المتتبع لحركة النضال العربى فى الوقت الحاضر ان يستخلص اشياء جد هامة ٠٠ فقد تفتحت مدركاتها ووسائلها فى العمل الى المستوى الذى استطاعت من خلاله أن تدرك موقفها ، واهمية هذا الموقف فى عالم اليوم ٠٠ لقد تخطت حركة النضال العربى مرحلة النضال من اجل الوحدة الكبرى ٠٠ ليس لفقدانها درجة واحدة من أهميتها ٠٠ « ولكن لأن الأمة العربية لم تعد فى حاجة الى أن تثبت حقيقة الوحدة بين شعوبها ، لقد تجاوزت الوحدة هـذه المرحلة ، واصبحت حقيقة الوجود العربى ذاته » كما جاء فى الميثاق الوطنى ٠٠ وعلى الرغم من أن هناك أشياء ما زالت فى حاجة الى تفسير سريع ومباشر حول « وحدة الصف » و « وحدة الهدف » الا أن طبيعة العمل القومى على الصعيد الداخلى والعالمى ، تحتم علينا أن ننظر الى اشياء اخرى أكثر جدية وأعلى مستوى تستحق أن نركز فيها جهودنا ،لأن اختفاء المعارك على المستوى الاقليمى لايعنى أن هناك تهادنا مع التخلف الداخلى، ولكنه يعنى أن نضالنا القومى قد أصبح فى وضع يؤهله الى أن يحدد أماكن ومستويات العمل الذى يريده لكى يبدأ بالأهم فالمهم ٠٠ واذا كانت لدى العالم الآن مفاهيم كثيرة حول قضايا انقلابات الامتصاص ، والثورية ، والتطور ، فان جماهير شعبنا قد أصبحت متمرسة بمختلف اساليب العمل التقدمى ، بحيث أصبح من الممكن أن يفرق الفرد العادى بين انقلاب الامتصاص الذى أصبح احدى العلامات المميزة للوجود الاستعمارى ، وبين الثورية التى تتخذ من الاشتراكية والمفاهيم التقدمية أساليب مضمونة تماما للتقـدم ، وكذلك بين التطور الذى لا نستطيع أن نحكم عليه الآن بالنجاح أو بالفشل ٠

اريد أن اقول هنا ان حركة النضـال العربى ـ وقد عرفت مكانها الحقيقى فى عالم اليوم ـ قد بدأت تعبر تعبيرا صادقا عن نفسها ، وعن جماهير شعبها الذى تمثله باسهامها المباشر وتجاوبهـا العميق مع تجارب وآمال غيرها من الشعوب وفق مخططها وفلسفتها الهـادفة الى الايمـان المطلق بقضايا الحرية والانسان فى العالم ٠

***

و لاشك أن انعقـاد مؤتمر القمة العربى الأول والثـانى وظروف الدعوة اليه التى خرجت من بور سعيد وحققت انعقاد ، وكذلك انعقاد مؤتمر القمة الافريقى ، ثم انعقـاد مؤتمر الدول غير المنحازة ـ كل هذه المؤتمرات من حيث التسلسل الزمنى لانعقـادها تؤكد معنى هاما هو أن العرب وقد اجتمعوا مع أنفسهم أولا ، ثم سـاهموا فى المؤتمرين الآخرين بصورة ايجابية فعالة فى القاهرة، عاصمة العروبة ، ومركز النضال العربى الاول ٠٠ أقول ان العرب وحركة النضال العربى بالذات التى حركت كل هذه المؤتمرات قد دخلت معترك السياسة العالمية بكل قوتها وثقلها المادى والمعنوى والحضارى محاولة تقويم الأوضاع العالمية ، وكما كان العرب فى جميع مراحل تاريخهم دعـاة حب

وعدالة وسلام ، فانهم اليوم يتممون ما بداه اسلافهم العظام في الدعوة الى السلام اولا ، ثم فرض هذا السلام القائم على العدل ٠

وأقول ان الدعوة والاشتراك في هذه المؤتمرات الدولية الكبيرة ـ على ارض العرب ـ سوف يكون لها من الآثار النفسية والمعنوية الشيء الكثير على مستوى المواطن العربي الفرد ، لانه وقد تفاعل فكريا وعاطفيا مع هذه المؤتمرات بمشتملاتها الكاملة سوف ينظر بسخط شديد الى اية محاولة أخرى في المستقبل لتمييع أو وضع العراقيل امام وحدته القومية المنشودة ٠ لقد استقر في ذهن المواطن العربي الفرد ان دولته الموحدة سوف تكون قادرة على املاء وجهة نظرها العادلة في اي ظرف وباسلوب واضح ، كما حدث مع مويس تشومبي فقد تصرفت الجمهورية العربية المتحدة في مشكلات بالأصالة عن نفسها وبالنيابة عن شقيقتها الجزائر ٠

***

واذا كانت المساهمة العربية الفعالة في خدمة المبادىء والاهداف الانسانية العليا قد اكسبت حركة النضال العربي اضافات جديدة لها اثرها ، فانها في نفس الوقت قد أكسبتها مزيدا من الأصدقاء الجدد لقضية العرب الكبرى ـ فلسطين ، وخاصة عندما ابدى هؤلاء الأصدقاء استعدادهم لفهم وجهة النظر العربية في قضية الوطن السليب ٠ ومن ثم أدانوا وجود الكيان النازي بوصفه حركة استعمارية عنصرية ، واذا كان واقعنا ما زال مجزءا ٠٠ سياسيا فان كتاب اليوم « اضواء على المجتمع العربي » بقلم الدكتور صلاح الدين عبد الوهاب يسلط الأضواء على هذا الواقع ، ليقدم لنا صورة لوطننا الكبير ودولتنا الموحدة ، وأسس هذه الوحدة وأهدافها الكبرى ٠

لقد قدم لنا المؤلف بحثه بصورة مختصرة ، ولم يحاول أن يعالج فيه بعض النواحي التي مازلنا في أشد الحاجة اليها ، وخاصة المجتمع العربي من الناحية الفكرية ، ولكن المهم في هذا الكتاب انه يقدم لنا دراسة مفيدة للأسس التي ترتكز عليها الدعوة الى الوحدة العربية ، واهميتها ، واصالتها ٠ يقول المؤلف :

« يحتل الوطن العربي موقعا استراتيجيا هاما في العالم القديم ، لأنه يصل بين ثلاث قارات هي افريقية ، وآسيا ، وأوربا ، وهو يمثل وحدة أملتها ظروف جغرافية منذ عصور التاريخ الأولى ، ويكون رقعة من الأرض ذات معالم واضحة يقطنها منذ فجر التاريخ شعب متجانس نشأت فيه حضارات متقاربة ، يمكن القول بانها منذ اغوار الماضي البعيد تمثل خطا حضاريا واحدا الطبع بانطباعة واحدة تصلح أساسا صلبا لوحدة سياسية واحدة » ٠

ويمتد العالم العربي في الشرق الاوسط بمفهومه الحالي وشمال غرب افريقية في منطقة تنحصر بين خطي عرض ١٠° و ٣٧° شمالا ، وبين خطي طول ٩٥ غربا و ٥٧ شرقا ، أي أن امتداده يقع بين المحيط الاطلسي الى الخليج العربي بما يزيد على ستة آلاف كيلو متر ، أما امتداده الى الجنوب فيسير مع نهر النيل في وسط القارة الافريقية الى مسافة تقرب من الثلاثة آلاف كيلومتر ، وبهذا يكون هذا الوطن اذا ضمته وحدة سياسية ، ثاني تنظيم سياسي في العالم بعد الاتحاد السوفييتي من حيث المساحة ، فمساحة الوطن العربي تربو على مساحة قارة أوربا باكملها ، ويقع نحو ٢٨٪ من هذه المساحة في آسيا ، بينما تستأثر افريقية بنحو ٧٢٪ ، ويتصل الجزءان الآسيوي والافريقي ولا ينفصلان لأن افريقية ذاتها ما هي الا امتداد شبه جذري لآسيا ، مثلها في ذلك مثل أوربا ٠

***

ويبلغ سكان الوطن العربي حوالي ٨٣ مليون نسمة ، وهو بذلك يعتبر الدولة الثامنة بين الدول بالنظر الى عدد السكان : « الصين الشعبية ٦٦٠ مليونا ، والهند ٣٩٥ مليونا ، والاتحاد السوفيتي ٢١٠ ملايين ، والولايات المتحدة ١٧٣ مليونا ، واليابان ٩٠ مليونا والباكستان ٨٥ مليونا ، وأندونيسيا ٧٤ مليونا » ٠

ويسود المجتمع العربي مقومات المجتمع المتجانس الذي يشعر أفراده بأنهم مشدودون بعضهم الى بعض بوحدة الهدف ووحدة الوسيلة ٠

وتعتبر اللغة العربية من المقومات الرئيسية لتجانس الوطن العربي ووحدته ، وعن اهمية اللغة

كتب الفيلسوف هردر فى مؤلفه « فلسفة اخرى فى تاريخ البشرية » عن علاقة اللغة بنفسية الأمة وشخصيتها فقال :

« ان الطبيعة فرقت الشعوب بعضها عن بعض ، ليس بواسطة الغابات والجبال والبحار والصحارى والانهار فحسب ، بل فرقتها ايضا ـ وبوجه خاص ـ بواسطة اللغات والميول والسجايا »

ثم قال :

« ان اللغة القومية بمنزلة الوعاء الذى تتشكل فيه وتنتقل بواسطة افكار الشعب » .

وقال ايضا :

« اللغة سواء اقلنا انها خلقت دفعة واحدة من قبل الله ، ام ذهبنا الى انها تكونت تدريجيا بعمل العقل ... لا يمكن ان نشك فى انها ـ فى الحالة الحاضرة ـ هى التى تخلق العقل او ـ على الاقل ـ تؤثر فى التفكير تأثيرا عميقا ، وتسدده وتوجهه توجيها خاصا ... »

***

وقال :

« ان قلب الشعب ينبض فى لغته .. وروح الشعب تكمن فى لغة الآباء والأجداد .. » وفى هذا المعنى ايضا يقول الكاتب الالمانى ماكس نوردو ..

« ان الفرد يندمج فى المجتمع باللغة وباللغة وحدها .. وباللغة يصبح عضوا فى الشعب الذى يتكلمها .. وباللغة ، وباللغة وحدها يتلقى كل تراث الأمة الفكرى والشعورى والأخلاقى والاجتماعى ، المنحدر من قرائح الكتاب والشعراء والمفكرين السابقين منهم والمعاصرين .. »

ويقول بعض شراح القومية : انه لو كانت القومية قائمة على شرط واحد ، لكان هذا الشرط هو اللغة لأن الاشتراك فى اللغة هو اكبر عامل يولد فى نفوس الناس ارادة الانتظام فى امة واحدة ، فالشعوب التى تتكلم لغة واحدة لابد ان تتوحد طريقة تفكيرها وان تتوثب روحها الى غايات مشتركة ، ولذلك يسهل عليها تكوين امة واحدة تتطور بحكم طبيعة الأمور والسير المنطقى للاحداث الى وحدة سياسية ..

وعنصر الوحدة اللغوية متوفر فى الوطن العربى بجميع وحداته السياسية بين الغالبية العظمى من سكانه ، اذ تبلغ نسبة المتكلمين بها نحو ٩٤٪ من عدد افراد الشعب العربى ، على ان هذه الوحدة لا يؤثر فيها تعدد اللهجات فالمسلم به أن تعدد اللهجات واقعة لا غنى عنها فى اية لغة ، ولا ادل على صحة هذا من اختلاف لهجة الاسكتلندى عن الويلشى « الأصيل من مقاطعة ويلز بانجلترا » واختلاف كلتا اللهجتين عن اللهجة الانجليزية القح ، وكذلك تختلف لهجة الأمريكى الشمالى اختلافا كبيرا عن لهجة الأمريكى الجنوبى الأصيل من المقاطعات الجنوبية .

***

وباللغة العربية الفصحى يستطيع العربى فى عدن ان يتفاهم بها مع العربى فى السودان وان يتلاقيا عند وجهة نظر واحدة ، ولهذا وجب التنبيه الى خطورة تشجيع اللغة العامية واحياء اللهجات المحلية ، لان فى ذلك تفريقا لمجتمع العرب وهدما لأهم صرح من صروح وحدة هذا المجتمع وتجانسه .

يضاف الى وحدة اللغة اننا نرى جميع اجزاء الوطن العربى تشترك اشتراكا فعليا فى فصول التاريخ قبل الاسلام وبعده »

ولقد جاء الاسلام برسالة ثورية اقتلعت جذور التنافس القبلى ، والحقد العنصرى من نفس العرب ودعا الى اساس جديد فى العقيدة الالهية ، ومثل عليا جديدة فى السلوك والاخلاق والحياة الاجتماعية فعبأ نفوس العرب بالرغبة فى الانخراط فى بعث عربى شامل اساسه .. نية الدين وماعززت به العرب من نزول القرآن خاتم الرسالات السماوية بلغتهم العربية .

ولم تهيىء الديانة الجديدة للعرب فرصة الوحدة فى العقيدة فقط ، بل افسحت لهم المجال لكى تنصهر تقاليدهم جميعا فى بوتقة جديدة تمد الامة العربية بمعدن جديد من التقاليد والاخلاق والحياة الاجتماعية ، وكان نجاح هذه الدعوة الجديدة وانتشارها فى أرجاء الارض ايذانا ببزوغ نجم العرب، واقامة حضارة جديدة أشاعت النور فى العالم ابان العصور الوسطى الحالكة الظلام .

والاسلام كمقوم من مقومات الوحـدة العربية لا يعنى أن المسيحية ليست مقوما ايضا ؛لان الاثنين يدخلان فى تكوين وحدة روحية لاغنى للدعوة العربية عنها ، هذه الوحدة الروحية لم يكن يتصور قيامها بين الاسـلام والهندكية مثلا ، او بين الاسـلام والبوذية ، لانه شتان بين الأسـس التى تقوم عليها كل منهما ، ففى كل من الاسلام والمسيحية ايمان بوجود خالق الوجود الانسانى والخارجى ، وايمان بوجود اليوم الآخر . وهذا وجود يكفى لضمان عدم التفرقة .

***

وفى هذا المعنى يقول الدكتور قسطنطين زريق :

« القومية الحقيقية لا يمكن بحال من الاحوال ان تناقض الدين الصحيح ، انها ليست ــ فى جوهرها ــ ســوى حركة روحية ترمى الى بعث قوى الامة الداخلية ، وتحقيق قابليتها العقلية والنفسـية ، فلابد للقومية اذن وهى حركة روحية ــ من أن تلاقى الدين وأن تستمد منه القوة والحياة ، كذلك فان القومية العربية لاتعارض دينا من الأديان ولاتنافيه، بل تقبل على الاديان جميعا ، واذا عارضت القومية شـيئا ، فليس هو الروحية الدينية ، وانما هو العصبية الهدامة التى تجعل الرابطة الطائفية اقوى من الرابطة القومية ، وتابى أن تذيب نفسها فى بوتقة الوطن الجامعة ، وأصحابها هم أعداء القومية العربية وهادمو وحدتها ، أما الدين الصحيح فانه ينبع مع القومية من معين واحد »

ونخرج من كل ما تقدم بانه لا يمكن فصل الاسلام مع ما بينه وبين المسيحية من وحدة روحية ــ عن حظيرة الدعوة العربية ، وتعمد اقصاء الدين عن مجال القومية هو دعوة « علمانية » مقصودة لذاتها ، لا خدمة للقومية ، وهى لذلك لن تفضى الا الى الحاد وضياع للقيم ، وتسويد لقيم الغرب التى تقوم على الاباحية والانحلال ، ولا تفيد شيئا فى اذكاء روح القومية وتقدمها والعمل على بلوغ اهدافها .

تحسين عبد الحى

بعد المصيف

احبك بعـد انتهـاء المصيف
بثوب شفيف
وفيك من البحر عمق وسـحر
ولـون لطيف

***

أتوه بعينيك عبر البحـار
واسـبح حتى احس الدوار
ولست الى الشط ارجو الوصول
ولكن الى العمق عمق القرار
ليغرق فى القاع ليل الضباب
ويصحو على راحتى النهـار
واضحك من سخريات الخريف
والقاك بعد انتهـاء المصيف
بثوب شفيف
وفيك من البحر عمق وسحر
ولـون لطيف

***

وفى الدر اهوى التماع الصدف
يرف عليـه ابتسام الترف
وفى الثغر يرقص لحن الحنين
على وتر من ليالى الشـغف
بهمس يدغدغ سـمع النجوم
وتصغى له شرفات الغـرف
وهمس الليالى شجى طريف
يناديك بعد انتهـاء المصيف
بثوب شفيف
وفيك من البحر عمق وسحر
ولـون لطيف

***

وحسنك للدفء يدعـو يدى
ويغرى برقتـه سـاعدى
ويختلج الصدر عند العنـاق
كنبع يطمئن شوق الصـدى
ويبتهل الشـوق حتى يذوب
صـلاة يرددهـا معبـدى

محمد على احمد

قراءات في المجلات العربية

يقدمها : مصطفى فوده مصطفى



● ليست رؤيا ولكنها شيء آخر

في أيامنا ينحو بعض فنانينا الى الاتيان بفن اشبه باللامعقول وان لم يبلغ مبلغه ، وكأنهم بذلك يحاولون تجريب عضلاتهم في ابداع مثل ما ابدع الغرب من لا معقول تحت ظروف معينة اوجدتها في مجتمعهم وحشية الحرب واهوالها . غير أن اختلاف واقع حياتنا عن حياة الغرب يجعل تلك المحاولات ضعيفة الخطو قصيرته خامسة الصوت ضعيفته ، حتى لا تكاد تحس . فلا تثير ضجة ولا تلفت نظرا ، وان كانت تستدعي وقفة من حين لحين لنرى الى اين تتجه والى اى شيء تهدف .

ويبدو أن نجم اللامعقول بدأ في الافول ، فلقد أخبرني صديق عائد من ألمانيا : أن هذا النوع من الفن لا يتحمس له أحد هناك حتى كاد يلفظ أنفاسه ، ويبدو أيضا انه كان لابد له من تلك النهاية السريعة لافتقاده اهم مقومات الفن . وهو الجمال . وكيف يكون جميلا ، مالايفهمه عقل ، أو يقتنع به منطق . أو يوصل الى خير .

« كان افلاطون » يرى : أن الجميل هو النافع نفعا خيرا . وعلى راى « افلاطون » هذا ، يفقد اللامعقول اهم مقومات جماله لانه لا يعطى خيرا .

غير ان هناك رايا لـ « كنت » يرى : ان لا رابطة ثمة بين الخير والجمال . فالجميل جميل في ذاته ولا يقوم جماله الا على طريقة تكوينه .

وعلى راى « **كنت** » يكون اللامعقول والقريب منه فيه من الجمال بقدر ما يعطيه شكله وبناؤه وانسجامه مع عالمه الخاص به ومقاييسه ، ان كانت ثمة مقاييس .

واذا تركنا راى الفيلسوفين الكبيرين بعض الوقت ، ونظرنا في واقعنا وما حولنا . والى الفترة التي تعيشها امتنا ، والى طريق التطور الذي تحاول به أن تصل الى ما فاتها من ركب الحضارة والتقدم لتلحق بالعالم وتسير في الصف الاول من البشرية ، لوجدنا انه أحرى بنا أن يكون مقياسنا للجمال — في فترة حياتنا هذه — هو مقياس « افلاطون » الذي قال : بان الجميل هو النافع . فنحن في حاجة ماسة الى كل ما يعطى فائدة تقيم بناء فتغذى عقلا، وتطعم فاها ، وتغطى عريا ، وتؤوى مشردا .

وعلى هذا نتساءل ما جدوى هذا النوع من الفن — القريب من اللامعقول ، أو اللامعقول — الذي تأباه لحظتنا الراهنة .. لحظة البناء والتطلع الى مستقبل افضل . وتأباه أيضا حالة فن اللامعقول ذاته الذي أخذ في الضمور ، والنضج في منبعه الذي منه تفجر وعلى أرضه قام . ولئن كان هذا الفن يلفظ أنفاسه

في المانيا كما أخبرني الصديق القادم من هناك . وكان واقعنا يأباه . فلماذا يتعلق به بعضنا ، أهي رغبة في التقليد ، أم في اظهار العضلات الفنية .

لقد زعم بعضهم انها رؤيا خاصة يراها الفنان ولا يستطيع الا ان يقدمها للناس ليروا معه ما راى. غير انى اتساءل . وهل يرى الناس بالفعل ماراه صاحب الرؤيا الخاصة ؟ لست اعتقد . لأننا حين نرى مثل هذا الفن نسال انفسنا بعد الا نفهم شيئا. اما زالت لنا رؤوس تحمل عقولا ! ام انها انتهت بانتهاء قراءتنا لمثل هذا العمل . ام لعله عقل الآخر ذو الرؤيا الخاصة ، هو الذى ذهب حين قدم لنا مثل هذا العمل ؟!

الحق انى فى حيرة ولا أظن أنى وحدى الذى وقع فى مثل تلك الحيرة ، فمازلت اذكر تعليقا لاستاذنا « محمد فريد ابو حديد » على قصة من هذا النوع ولقد كتب فى تعليق يقول : « **لقد حاولت بكل اخلاص ان ادرك شيئا وراء هذا الكلام الذى يبدو انه لا يفيد معنى . ولقد صدمنى الكلام وشعرت بالصدمة باخلاص . وفاء بوعدى للسيد الكاتب . ولكنى وجدت آخر الامر انى عاجز عن تقدير هذه القصة. فانا اقر للسيد الكاتب بعجزى وقصورى عن ادراك ما يختفى وراء الفاظ هذه القصة ، امله فاسفا عليا ، كما انه من الممكن ان يختفى وراءها سر تخيف** »

وسمعت أيضا ان فنانا كبيرا من رواد القصة عندنا ، قرأ عليه آخر قصة من هذا النوع ، فما كان منه الا قام يقبل جليسا له ويقول « **اكنت تظن يا فلان ان العمر سيمتد بك الى أن تسمع ما سمعت الآن ، على أنه فن !!** »

ومع هذا فهناك من النقاد من يقول عن قصة من نفس النوع الذى رفضه فناننا الكبير ، وأزجى الاخلاص لكاتبه استاذنا « **أبو حديد** » حين لم يفهم من الكلام شيئا .

يقول الناقد عن هذا الادب : « **ولكنه على أىحال يملأ عليك وجدانك وفكرك** » . **ويقول عن كاتبه**

« **انه يستعين فى أدبه بالرمز المغرق ويحرص على اقامة تداخل ونماذج بين الواقعوالخيال ، بينالحقيقة والوهم ، ليعلن احتجاجه الصارخ على ما تزخر به الحياة من فقر وتعسف وتعاسة وافتقار للحنان . وهو يدافع بكبرياء عن انسانية الانسان ويبتسم ساخرا فى مواجهة ابشع المحن ، وان لم ينكر ابدا ما يمتلىء به قلب الانسان من ضعف وأهواء متناقضة.**

ويقول فى مكان آخر من كلمته : « **انه فىالحقيقة بين منهجين فى بناء قصصه ، منهج التعبير المباشر ، منهج التداخل والمزج ، وفى تقديرى ان مركبا فنيا جديدا من كلا المنهجين ، فى بناء صور واحداثه ، سوف يتكامل فى أدبه** » .

و «حوار» أيضا قدمت لنا قصة من هذا النوع ــ أو قريبة منه بعنوان « **الهزيمة ــ لزكريا تامر** » متناسية اللحظة المعاشة لأمتنا العربية .

فخليل حين رجع الى بيته ، ونام . وجد كان ملكة سوداء الشعر تدخل عليه فتامر بتعذيبه . فيذعر ولكن ذعره يتحول الى دهشة حين تطلب اليه أن يهرب ، فلما سالها : الى أين ؟ ماتت وتحولت الى فراشة اختفت فى فراغ أسود . بينما ظل خليل يبكى ــ دون دموع ــ الى أن أفاق من نومه ذاتصباح بمعدة عتيقة وسار فى شارع لم يقابله فيه آدمى . أبوابه مغلقة . وأرضه مغطاة بأوراق شجر صفراء. وسياراته مجللة بالغبار . فلما هم بدخول مطعم وجد جرذا يسوق دراجة ، ووجد كل الموائد يجلس عليها جرذان ضخمة تتناول طعامها برصانة ، وكان الخادم جرذا هو الآخر ، طلب منه خليل كوبا من اللبن وقطعة من الجبن وقليلا من الزبد . الا أن « الجرذ الخادم » احضر له قطعة من اللحم النيىء ، فلما حاول أن يعترض نبح الخادم فنبحت الجرذان، وحاول أن يتكلم فنبح هو الآخر وسقطت ميتة ملكة سوداء الشعر ، ولم يكن امامه الا أن يتناول قطعة اللحم النيئة ويرفعها الى فمه .

ذلك هو ملخصالقصة . فهل يا ترى هى رمزية؟ أم انها من النوع الغريب من اللامعقول ؟ فىاعتقادى انها من النوع الثانى الذى لا يساير ركبنا الصاعد.

وعلى فرض رمزيتها ماذا تفسر ؟ انها لا تفسر جديدا فى الحياة ، فهى ربما كانت تريد أن تقول : ان الانسان حينما تضغط عليه الحياة يتخلى عن انسانيته فى الرؤيا أولا وفى واقع الحياة المعاش ثانيا وأخيرا ، حتى يعود وحشا جبانا . يستسيغ أكل اللحم النيىء .

غير أن هذا الرمز لا يصل اليه الا متفائل . لان

القصة تجنح الى التداخل بين الحلم والوهم والحقيقة ، حتى ليكاد الواقع فيها يمتزج بالخيال .

وفي النهاية أتساءل ماذا يجدينا مثل هذا الفن في فترتنا الراهنة !! سؤال أود لو أقنعني بجوابه أحد .

● **أهكذا على رؤوس الأشهاد ؟!**

هل يمكن أن أكون ذا سوءة فأعريها للناس وأمشي بها بينهم ؟ هل تقبل أخلاقنا وطبيعتنا أن نفضح أنفسنا على رؤوس الاشهاد ؟ « ونفرج » على أنفسنا خلق الله ؟! لست أعتقد . فان الدعوات اغاظة .. تلك الدعوة التي يدعو بها انسان على آخر ، وتحمل معنى الفضيحة .

وهل يمكن أن يكون في مرض منفر ومع ذلك أعرضه على كل من هب ودب بدعوى أنه مرض وما حيلتي في بلوى ابتلاني بها الله ؟! لست أعتقد أيضا ، فذوو الامراض المنفرة وشانهو الخلقة يضعهم المجتمع في ملاجيء ومصحات . يعالجهم ويؤهلهم فيها . كلما استطاع الى ذلك سبيلا حتى يتقبلهم الخلق ويتقبلون هم الحياة .

ولئن كان هذا متدرجا على أمراض الافراد ، فهو مندرج أيضا على أمراض المجتمع ، واجبنا : أن نعرفها وأن نقف على أسبابها ، وواجبنا في الوقت نفسه أن نسترها حتى يبرأ منها المجتمع ، والا كنا كمن يعرض مرضه المنفر على الخلق . فما بالنا وأمراض المجتمع معدية .

وقد يغتفر للفنان أن يعرض أمراض مجتمعه ، لانه في الوقت نفسه يصف لها الدواء ، فيكون كمن يكتشف المرض ويعالجه في الوقت نفسه .

أقول هذا بمناسبة ما قرأته في « **حوار** » عن « حياة المومس » وكان جزءا من تقرير كتبه «**سمير خلف**» وجميل أن يقوم « سمير » ببحثه هذا فهو أشبه بمن يحاول اكتناه أصل الداء ليصنع له الدواء الناجع . ولكن ليس جميلا بحال أن ينشر هذا البحث على رؤوس الاشهاد . والا لجاز أن نضع أبحاث الأطباء المستكشفين في يد كل جهول .

فاذا قال لنا الطبيب ان أسباب حياة تلك الجرثومة هي كذا وكذا فقد يأخذ تلك النتيجة جاهل أو منحرف فيقتل بها الناس . وقد تهرب منا الجرثومة اذا كانت عاقلة « كالبغي » ، فانها والحالة هذه تدافع عن حياتها ومورد رزقها . فما بالنا اذا بدأ التقرير المنشور في حوار هكذا :

ان عزل المومسات في مباغ خاصة يدل على عقلية تشبه عقلية القرون الوسطى . فبالاضافة الى الجو المزعج الذي يسود مثل هذه البيوت العمومية . وبشكل خاص الاحساس بالعبودية والوسائل المتبعة في اصطياد الضحايا ، فان هذا العزل قد ولد عند الناس عداء أصيلا تجاه المومس العمومية وتجاه مهنتها . فالموقف السائد بين الناس تجاه المومس يتصف على العموم بالنفور والاشمئزاز الراسخ . ووصمنا للمومسات بالعار واعتبارنا اياهن منبوذات يستثير فيهن مشاعر الامتعاض والعداء بكل سهولة

ان مثل هذه المواقف والمشاعر لا تؤدي بنا بحد ذاتها الى معرفة حياة المومسات المهنية والاقتصادية والاجتماعية معرفة وثيقة . وبالتالي فان القليل الذي نعرفه مبني على الاقاويل او مثقل بالتحيزات المسبقة والمغالطات الشائعة »

ويقول في جزء آخر من التقرير : « **ان خدمات المومسات لا تستغل بشكل جيد فحسب ، بل انها على ما يبدو مصدر وافر للرزق بالنسبة لكل من يقدمن هذه الخدمات ... ولما كانت هذه المهنة مربحة الى هذا الحد فانه يحق لنا ان نكرر قول « ديفر » : بان السؤال « الطريف ليس لماذا يمارس البغاء هذا العدد الكبير من النساء ؟ بل لماذا لايمارسه الا هذا العدد القليل فقط ! »** .

أهذا كلام ينشر على رؤوس الاشهاد مهما كان الغرض منه ؟! في اعتقادي أن مثل هذا التقرير مكانه عند رجل الاجتماع ورجل الشرطة ، او بين دفتي كتاب متخصص . أما أن ينشر في مجلة تدخل بيوتا كثيرة وتنشر على مستوى القارىء العربي في كل مكان . ففي ذلك خطورة اي خطورة . وبخاصة على المراهقين والمراهقات .

« **مصطفى فوده** »



فى صحبة العقاد

للاستاذ محمد طاهر الجبلاوى

قرأت ما كتب فى الرسالة بقلم الأستاذ محمود محمد الطوخى عن الاختلاف بين روايتى فى كتاب « فى صحبة العقاد » ورواية الدكتور شوقى ضيف فى كتابه « مع العقاد » فى موضوع زيارة الزعيم مصطفى كامل لمدرسة اسوان وعرض البيت الآتى على التلاميذ .

والمرء مالم تفد نفعا اقامته
غيم حمى الشمس لم يمطر ولم يزل

ويرى الكاتب اختلافا بين روايتى ورواية الدكتور ضيف ثم يوجه الى اللوم بسبب هذا الاختلاف . واقول : ان رواية الدكتور ضيف ليست ملزمة لى ، لانى لا انقل عنه . وانما انقل عن الاستاذ محمد فخر الدين الدشناوى مدرس اللغة العربية الذى كان يدرس لاستاذنا العقاد ، والعهده على الراوى كما يقولون .

اما ما نقله الكاتب عن العقاد رحمة الله عليه فى هذا الموضوع فلا ارى فيه مخالفه بما رواه استاذه الا اذا كان الكاتب يجد اختلافا بين قول الاستاذ فخر الدين « وكان الزعيم الخالد الذكر يصغى الى العقاد فى اعجاب » وقول العقاد ولاح لى انه لم يسترح لردى واقول : ان كلا القولين صواب فجواب العقاد الناشىء بان الغيم الذى يحجب الشمس لا يعد سيئة فى اسوان يتمنى اناس زوالها . جواب يدعو الى الاعجاب كل الاعجاب ، وليس مصطفى كامل ممن يغيب عنه ذلك ، ولكنه فى نفس الوقت يدعو الى الحرج وعدم الارتياح ، لما فيه من تسفيه الفكرة امام التلاميذ والزوار معا .

واذكر بهذه المناسبة ان شاعرا هجا مصلوبا بابيات قال منها .

ويحنى راسه لعتاب قلب
هداه الى الغواية والضلال

فاعجب اهل المصلوب بالبيت ، ولكنهم تاثروا من قائله وانتقموا منه ، فالاعجاب يا صاحبى لا ينفى التاثر وعدم الارتياح .

على ان اختلاف الروايات فى هذا الموضوع لا ينفى الفكرة الاساسية التى اوردنا القصة لابرازها وهى الذكاء وقوة الحجة وسرعة البديهة التى نتبينها فى اجابة العقاد التلميذ الناشىء ، ونراها فى العقاد الاديب العملاق . اما كلمات التأنيب والتعزير التى وجهها الينا الكاتب فنحن لا نجاريه فيها ونغتفرها له فى حب العقاد .

حول الشابى

بقلم عبد الكريم ابراهيم رجب

ذكر الأستاذ مظلوم خضر فى مقال له ان ابا القاسم الشابى قد التحق بكلية الحقوق التونسية وحصل على شهادة الحقوق سنة ١٩٣٠ .

بينما يقول الدكتور محمد مندور فى كتابه « الشعر المصري بعد شوقي » حـ ٢ ص ٦٥ ، ومن الغريب انني عندما طالعت بعض قصائد الشابي ومقالاته النقدية ، كدت اجزم بان هذا الشاعر قد كان يجيد لغة اجنبية تمكنه ــ لا من الالمام بآداب الغرب فحسب ــ بل ومن تذوقه لتلك الآداب واحساسه بها ، وتمثله لها ثم عدت الى ما كتب عن تاريخ حياته فاخذتني الدهشة كل الدهشة عند ما علمت انه لم يكن يعرف لغة اجنبية ، وانه تخرج من «الزيتونه» بتونس ثم التحق بكلية الحقوق التونسية ، وتخرج منها سنة ١٩٣٠ ، ولكنه لم يتعلم لغة اجنبية ، وعندئذ ادركت انني امام احدى تلك العبقريات التي لا يستطيع البشر لها تفسيرا لأنها هبة الله » .

والاستاذ ابو القاسم محمد كرو مؤرخ الشابي يحدثنا عن التحاق الشابي بكلية الحقوق التونسية ويوافقه على ذلك الدكتور عمر فروخ ، ثم يجمع الكاتبان على ان ابا القاسم الشابي كان لا يعرف اطلاقا اية لغة اجنبية .

وشقيق الشابي ــ محمد الامين الشابي ــ يحدثنا في مقدمته لديوان اخيه « اغاني الحياه » عن حياته كلها ثم لا يشير اطلاقا الى التحاقه بكلية الحقوق في تونس .

ويقول الدكتور زكي المحاسني في كتابه « ابراهيم طوقان شاعر الوطن المغضوب » ص ٨٧ .

« على ان الشابي الذي ولد وعاش في تونس المستعمره ، وتعلم في كلية الحقوق ، لابد ان يكون على معرفة بالفرنسية ، فالشباب المتعلم بتونس منذ فاتحة هذا العصر حتى الآن لا تنقص ثقافتهم هذه اللغة ، لان المستعمر قد اشاعها في المدارس الابتدائية والثانوية فكيف بترك الدراسات العليا العربية ؟ فاذا كان الشابي قد تلقى ثقافة حقوقيه في معهد تونس فلا بد ان يكون قد عرف الفرنسية التي هي لغة المعهد وامتحانه » .

ورايي انا ، هو ان ابا القاسم الشابي لم يلتحق بكلية الحقوق التونسية .. فما راى الاستاذ مظلوم خضر في هذا الموضوع ؟؟ وما راى القراء .

مع الشعراء

تلقت الرسالة القصائد الآتية :

كف القدر

الشاعر فرحات عبد الخالق

صرخة من فلسطين :

الشاعر احمد نبيل عبد الفتاح

موكب النصر الافريقي :

الشاعر حسن حسين شكري

مؤتمر القمة :

الشاعر محمد فضل اسماعيل

ذكريات لاجئة :

الشاعر احمد محمد الشال

هجـــر :

الشاعر يحي حسن سيد

تاملات في الصباح :

الشاعرة ن . ز من البحرين

رثاء لعروض :

الشاعر محمود زكي سطوحي

اخي في الجنوب :

الشاعر يحيى صالح ربيع

انا والليل والدموع :

الشاعر احمد تاج الدين

شيخ هرم :

الشاعر عبد الرحمن سالم

والرسالة تشكر هؤلاء الشعراء ، وتؤكد لهم انها معهم على الطريق ، وانها ستقدم بين الحين والحين انتاجهم الى النقاد ليقولوا كلمتهم فيه في هذا الباب .

الفتاة ...

بقلم عايده الغرابلى

انصرفت المعزيات من الدار ٠ وبقيت أختها وأولادها عدة أيام ثم انتقلوا جميعا الى دار أختها فى العزبة المجاورة ٠٠ فلم يعد لها من أحد يعولها بعد وفاة أمها ٠

كان أبوها قد مات منذ سنين وكان يمتلك عشرة قراريط ويستاجر فدانا ، وقد كان مجتهدا فى عمله واسع الرزق يكفل لزوجته وابنتيه حياة بسيطة ميسورة ٠٠٠ وما ان انتقل الرجل الى جوار ربه ٠٠ حتى تغير الحال وشاركت الأم أخاها فى زراعة الارض وكانت ماهرة فى تربية الأوز تدخر مما تبيع منه بعض المال لتنفق على الزراعة وماتتطلبه من مصاريف ولكن الأخ كان مهملا طماعا فساءت الحال واضطرت الى أن تقبل أن تعمل الابنة الكبرى فى « الوسية » المجاورة نظير يومية بسيطة تعينهم على ما يلقونه من شظف العيش ٠ وما كادت تعمل بضعة أسابيع حتى أتاها « عدلها » وخطبها خفير الوسية وباعت الأم البقرة وجهزتها وانتقلت الى منزل الزوجية ٠

بقيت الأم والفتاة بالدار يطعمان العجلة الجاموس ٠٠ وقطيع الأوز ٠٠ الذى أعانهما على المعيشة وكفل لهما عيشتهما البسيطة ٠ فلما توفيت الأم لم يكن هناك مفر من أن تنتقل الفتاة والجاموسة وقطيع الأوز الى بيت أختها ٠ وما كادت تستقر هناك أسبوعين حتى دفعها زوج أختها للعمل بالوسية منتهزا فرصة موسم جنى القطن وارتفاع اليومية ٠ وبدأت الفتاة تذهب الى عملها مع شروق الشمس ممسكة « بصرة » فيها رغيفان وقطعة من الجبن القديم ، وما أن تصل الى الحقل حتى تعلق غداءها على فرع شجرة على رأس الحقل وترفع جلبابها الى أعلى ساقيها وتتحزم صانعة من جلبابها « حزية » تضع فيها ما تجنيه من القطن ، كانت تعمل بهمة واجتهاد فقد كانت تخشى عصا الخولى التى تلهب أجساد المهملين من الأنفار ٠

وذات يوم كان العمدة فى الحقل وارسل فى طلبها فحضرت مرتبكة خائفة ولكن الرجل الطيب طمأنها وأمرها فى رفق أن تذهب فتشتغل فى السراية ، ثم أرسل الى أختها فوافقت فى الحال ٠

انتقلت الفتاة الى حياة جديدة لم تكن تعرفها ولا حتى تحلم بها ٠ فقد راعتها السراية الفخمة وما يحيط بها من أشجارالفاكهة المختلفة والزهورالجميلة وأصناف الخضر ٠

كانت السيدة حرم العمدة دائبة النشاط ، جمة الاحسان أنجبت أربع بنات اثنتين متزوجتين وآنستين، وولدا ٠

وماكادت الفتاة تستقر بالمنزل أسبوعا واحدا حتى تمت خطبة الآنستين وفى الاسبوع التالى باع العمدة محصول القطن بثمن مجز وحضر التاجر وتم

وزن القطن وفرح العمدة لأنه لم يرزق بمثل ذلك المحصول من سنوات طويلة واعتقد من بالسراى أن الفتاة « قدم السعد » فأحبوها وقربوها .

احست الفتاة بالسعادة تغمر قلبها .. وتفتحت شهيتها على الطعام الدسم واعتبرت نفسها فى نعمة يجب أن تحمد الله عليها فعملت بجد ونشاط وكانت أمانتها مثالا طيبا فكانت تجد النقود وقطع المصاغ مبعثرة فى الحجرات فلم تخنها امانتها يوما .. وعاودتها صحتها .. وعاد اليها لونها الطبيعى ومس الشباب قوامها وملامحها وراحت كل يوم تزداد اشراقا وفتنة .. وهذبت الحياة الجديدة من ذوقها فتعلمت كيف تأكل وكيف تلبس وكيف تسير ، فقد ساعدت الآنستان والراديو والضيوف الذين يحضرون للسراية فى صقلها . وكان الخدم وكل من يعمل بالسراية حتى الخفراء يأتمرون بامرها ويتزلفون اليها لما رأوه من حب الأسرة لها فعادت الثقة الى نفسها والطمانينة الى قلبها فازدادت حسنا واشراقا كما ازدادت حبا للأسرة واكبارا لها . ولم تر وسيلة لرد الجميل الا الاخلاص فى العمل والدعاء للأسرة بدوام الخير .

ومرت الايام وتزوجت الآنسة الكبرى وانتقلت لبيت الزوجية . وبقيت هى والآنسة الصغرى وكانتا متقاربتى السن تربطهما روح المرح والانطلاق ، وتبعثان الحياة والبهجة فى أرجاء السراية .. فلا تكادان تفترقان حتى فى النوم فقد كانتا تبيتان فى حجرة واحدة .

اصبح جمال الفتاة وجاذبيتها حديث أهل القرية ... وتقدم كثير من الشباب لخطبتها ولكنها آثرت ما هى فيه من العز والرفاهية ... حتى ابن عم السيدة ذلك الأرمل الذى أشرف على الخمسين من عمره ... كان يتردد على السراية بين الحين والحين وكانت الفتاة قد أعجبته .. فحدث السيدة فى الأمر .. ورفضت باعتبار أن الفتاة ليست من مقامه وكرر عليها مرارا وهى ترفض بهذه الحجة ولكن الواقع أنه كان يعز عليها أن تدفن ربيع الفتاة فى خريف ابن عمها الشيخ .. وسمعت الآنسة عن طريق الصدفة طرفا من هذا الحديث وأسرعت ضاحكة الى الفتاة واخبرتها بما سمعت وراحتا تقهقهان وفى عينى الفتاة نظرة استعلاء .

الى أن كان يوم ... ذهبت الآنسة والفتاة الى طنطا حيث كان الفتى ابن العمدة يقيم فى شقة هناك وقد بقى على امتحان التوجيهية شهر ونصف شهر وقد مرض خادمه وذهب الى المستشفى لاجراء عملية حصوة فى الحالب . فذهبت الفتاتان لتكفلا للفتى الراحة أثناء الاستذكار . ورغم تدليل الأسرة للفتى فقد كان مجدا دمث الاخلاق ورث عن والده حب الخير والمثل العليا .. تلوح عليه علامات رجولة مبكرة . فرح بالفتاتين ووعدهما أن يبذل كل جهده على أن ينجح بتفوق . وأن ينسب الفضل فى ذلك اليهما ، وفرحت الفتاة بهذه الزيارة فقد كانت تحب سيدها الشاب كما تحب الأسرة حبا نبيلا صادقا . فقد كان عندما يحضر الى القرية فى عطلات الدراسة يحضر لها مثل ما يحضر لأختيه من هدايا .. ويعاملها كما يعاملهما

كان الفتى يستذكر آناء الليل واطراف النهار بدون كلل ولا ملل .. وعرفت الفتاة المواعيد التى يتناول فيها الشاى والقهوة ومواعيد نومه واستيقاظه فكانت تقوم بمهمة المنبه .. تقوم من النوم فتعد له الشاى أو القهوة وتوقظه فى مواعيده ... وازداد ارتباطهما .. واحس الفتى براحة عميقة أذهبت عنه ضجر السهر المتواصل .. وليلة بعد ليلة .. تفتحت الارواح .. وتحرك الشعور بالرغبة فى اللقاء .. شعور مبهم .. خيط رفيع لا تستبين منه الأخوة والرغبة .

وانتهى الامتحان وعاد ثلاثتهم الى القرية .. وقد ربطتهم هذه الفترة بشعور جديد .. فكان الفتى عندما ينتهى من زيارة أصدقائه بالقرية يعود الى السراية فيجالس الفتاتين .. ويخرج ثلاثتهم الى الحديقة .. يتسامرون فى ضوء القمر وظهرت نتيجة التوجيهية واذا بالفتى من الأوائل وقد نجح بامتياز

كانت الفرحة كاملة وذهب الفتى الى القاهرة فقدم أوراقه فى كلية الهندسة .. ثم عاد الى القرية ومعه صديق كان هو الآخر يقدم أوراقه الى الجامعة .. حضر ليقضى اياما فى ضيافته .. ولاحظ الفتى أن صديقه يتابع الفتاة من حيث تظهر بنظرات ملؤها الاعجاب .. وعندما اعتزم الصديق السفر فاتح الفتى فى كثير من الخجل أنه يريد خطبة الفتاة .. وصارحه الفتى بشىء من المرارة أنها ليست أخته وانما هى خادمة .. وتعجب الصديق وراح يطنب فى وصف الفتاة وجمالها الفطرى .. وجسدها الذى تتجلى فيه الطبيعة بأروع سحرها وعينيها وشعرها وابتسامتها تلك الكنوز الغالية . وسافر الصديق ولكن كلماته راحت تمس الفتى مس الكهرباء ...

ولاحظت السيدة ان الفتى لا يحب أن يبارح السرايه ولا أن تغيب عنه الفتاة •• وراحت تراقب الحالة ولولا ثقتها بابنها والفتاة •• لتدخلت في الأمر •• ورغم المراقبة الشديدة لم تجد ما يبرر التدخل ولكنها انتهزت فرصة خلوتها مع الفتاة وأخبرتها أنها مشغولة لأنها تلاحظ أن ابنها كثير الشرود والتفكير ولاتعرف السبب •• قالتها في سياق الحديث وبطريقة لا تستلفت النظر •• وما كادت الفتاة تخلو الى نفسها •• حتى راحت تراجع أحاسيسها •• لاشك أنها تحب سيدها الشاب •

كان حديث الصديق للشاب وحديث السيدة للفتاة بمثابة المصباح الذى كشف لكل منهما حقيقة شعوره •• انه الحب •• الحب الذى نما حثيثا فى قلبيهما بلا تحفظ ولا اصرار ولكنه نما على طبيعته حتى تمكن ••• وكان لا بد لهما من مواجهة الحقيقة •

أما الفتى فقد أحس انه لا يمكن الانفصال عنها •• ولماذا لا يتزوجها •• أين يجد مثل هذا الجمال والفتنة •• واين يأتى بمن تحبه كما تحبه الفتاة وتسهر على راحته كما تسهر •• وتقدم له الراحة النفسية والسعادة التى تشعها روح هذه الفتاة ولكن ، هل ترضى الأسرة بذلك ؟ ولماذا ترفض أليسوا هم الذين وضعوا هذه الفتاة فى موضع أخواته اقرارا منهم أنها لا تقل أخلاقا عنهم اذن ما الفارق بينهما •• غير الفقر والغنى •• وهل هذا يبرر أن يحرم نفسه من الحياة والسعادة •• كلا •• كلا •

اما الفتاة فقد رجعت بها الذاكرة الى أيام حضورها الى السراية •• وفضل السراية عليها فهى التى صنعت منها ما هى فيه من حسن ونضرة •• ولولا ذلك لكانت كأى فتاة يذهب الحقل بجمالها • أتأتى الى السراية أصل نعمتها ونعيمها فتسرق منها أعز ما فيها •• كلا••والف كلا •• ولكن أتستطيع بعد الفتى صبرا كيف تصنع بقلبها •• وحبها •• وأملها •• وراحت تستعرض شباب القرية ••ليس فيهم من يهز وترا من مشاعرها •• وراحت تتقلب على فراشها على أحر من الجمر وذاقت ليلة لم تذق مثلها حتى ليلة أن ماتت امها •

واصبح الصباح ولأول مرة تشاهد الفتاة وقد تخلت عن بهجتها •• وغارت ابتسامتها •• وراحت فاترة الحركة •• تسعى فى شبه ذهول •• وما أن أوت الفتاتان الى حجرتهما واغلقتا عليهما الباب •• حتى سالتها الآنسة عما بها •• وكانتا لا تخفيان عن بعضهما سرا • وبعد الحاح صارحتها الفتاة بالحقيقة. ولكن الآنسة لم تستغرب الأمر فان غريزتها قد انبأتها وقالت أنها لا ترى أى مانع من زواج الفتاة بأخيها • كانت نظرتها اليها كصديقة وحبيبة قد أنستها حقيقة الفوارق الاجتماعية • وما فيها من قيود وأغلال •• ولكن الفتاة واجهتها بالحقيقة •• الحقيقة المرة •• وصممت على التضحية••واستلقت الفتاتان على الفراش وهما يضمان بعضهما فى قوة ودموعهما تنهمر انهمارا •

وحان موعد سفر الفتى للجامعة ••• والتقى ثلاثتهم بالحديقة •• كانت نسمات بعد منتصف الليل تمر بهم رطبية رقيقة ••والقمر يصبغ الطبيعة بالوانه •• والحانه ومنظر الحديقة يتجلى رائعا ساحرا •• وقد هدأت الأنفاس •• والتهبت المشاعر وقامت الآنسة لتترك الفتاة والفتى لحظات للوداع•• وراحت الكلمات مضطربة على لسانه يشرح لها حبه وحقيقة مشاعره •• وتدرج الحديث فعرض عليها الزواج •• ولكن الفتاة كانت قد دبرت أمرا •• وربطت على مشاعرها قيدا من حديد فأجابته وهى تحاول أن تكشف الغشاوة عن عينيه بأنها تبادله حبا بحب ••ولكنه حب الأخت لأخيها ••والخادمة الأمينة لسيدها وأن حبها سيظل الى الأبد لانه حب الروح والأخوة والصداقة •• اما أن ينتهى الحب بصدمة عائلية •• فانهما يجب أن يكونا أكبر من ذلك •• وطال الجدل وحضرت الآنسة فصمتا ثم قاموا ثلاثتهم الى مضاجعهم •

وسافر الفتى •• وذهبت الآنسة الى والدتها واغلقت الباب وسألتها أن تختار للفتاة واحدا ممن تقدموا لخطبتها • وبعد أيام جلست السيدة مع الفتاة••وقالت لها ان فلانا وفلانا وابن عمها الشيخ قد تقدموا لخطبتها • ونكست الفتاة رأسها •• وكانت السيدة تشعر بكل ما حدث وكان تقديرها للفتاة قد جاوز الحد •• وقامت الى الفتاة تقبلها •• وتمت الخطبة وجهزت الفتاة كما كانت تجهز آنسات السراية •• وفى ليلة الزواج أرسل العمدة لحضور الفتى وكانت أمه قد واجهته واقنعته بمواجهة الحقيقة ووقف ينظر الى الفتاة •• وهى تزف الى الشيخ ••كان فخورا بها وقد ادرك ما أدركته أخته وأمه أن الفتاة قد تزوجت لتحمى نفسها وتحمى سيدها وأن حبها للأسرة كان أقوى من أى حب آخر ••



العدد ٦٥

الثمن ٣ م

الدار القومية للطباعة والنشر